جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

دراسة تحليلية نقدية

إعداد

عمر "محمد راجح" عمر أبو ليل

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس

2014

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

دراسة تحليلية نقدية

إعداد

"عمر محمد راجح" عمر أبو ليل

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 8 / 7 /2014م .

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيع
1- الدّكتور محسن سميح الخالدي / مشرفًا ورئيسًا	....
2- الدّكتور مدين جمال القرم / ممتحنًا خارجيًا	....
3- الدّكتور عودة عبد الله / ممتحنًا داخليًا	....

الإهداء

إلى الذين تعطرت الأرض بطيب دمائهم

إلى الذين باعوا الغالي والنفيس من أجل نصرة دينهم

إلى كل المجاهدين في سبيل الله

إلى والديّ الغاليين أعانني الله على برهما وأطال عمريهما

و إلى زوجتي الحنون على مساندتها لي في رسالتي

إلى أصدقائي في طلب العلم (محمود سلوم، عوني كميل، عدنان الظاهر)

إلى إخي بهاء وزوجته وأبنائه (محمد، إسلام، عبد الرحمن)

أهدي هذا العمل جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم

الشكر والتقدير

أتقدم بشكري وتقديري، إلى أستاذي الفاضل الدكتور : " محسن سميح الخالدي " [1] حفظه الله الذي لم يبخل عليَّ بعلمه ولا بجهده، وكان قدوة لي في سمته وعلمه وأسلوبه، وكان كالأب في جديته وحرصه .والشكر موصول إلى جميع أساتذتي في كلية الشريعة، في جامعة النجاح.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أصحاب الفضيلة، أعضاء لجنة مناقشة الأطروحة، الدكتور الفاضل، عودة عبد الله[2]، والدكتور الفاضل مدين جمال القرم.

وأشكر الأستاذ المربي، محمد شحادة [3] على قيامه بتدقيق هذا العمل لغوياً، فلهم جميعا جزيل الشكر والعرفان.

كما و أشكر إخواننا القائمين على الموسوعة الشاملة والجامع الكبير، لما بذلوه من جهد في تذليل الصعاب، ليصلنا هذا العلم.

وأشكر كل من أسهم في إثراء بحثي من مناقشة، أو إضافة أو نحوها.

بقلم :

عمر محمد أبو ليل

[1] أستاذ مشارك في جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين.

[2] رئيس قسم أصول الدين، في جامعة النجاح الوطنية – نابلس – فلسطين.

[3] متخصص في اللغة العربية وعلومها-عوريف-نابلس.

الإقــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

دراسة تحليلية نقدية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص ، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وإنّ هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يُقدّم من قبل لنيل أيّة درجة علمية أو لقب علمي أو بحثي لدى أيّة مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

unless otherwise referenced. Is the work provided in this thesis، researcher's own work and has not been submitted from anywhere else for any other degree or qualification.

Student's name: اسم الطّالب:

Signature: التــوقيــــع

Date: التـاريـــــخ:

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
الإقرار	ج
فهرس المحتويات	ح
الملخص	د
المقدمة	1
الفصل الأول: التعريف بالإعجاز الغيبي	8
المبحث الأول: معنى الإعجاز الغيبي في اللغة والاصطلاح	9
المبحث الثاني: موقف العلماء من الإعجاز الغيبي	15
المبحث الثالث : هل وقع التحدي بالإعجاز الغيبي	24
الفصل الثاني:الإعجاز الغيبي بالإخبار عن المستقبل دراسة تحليلية نقدية لأهم أمثلته	27
المبحث الأول : التنبّو بانتصار الروم على الفرس	30
المبحث الثاني : عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من القتل	43
المبحث الثالث : الإخبار بموت أبي لهب كافراً	46
المبحث الرابع: بشرى دخول الحرم	48
المبحث الخامس: إخبار الله تعالى بهزيمة المشركين في بدر	55

المبحث السادس: إخبار الله تعالى بدخان وعذاب يغشى كفار مكة	58
المبحث السابع :وعد الله تعالى بالتمكين للمؤمنين	64
المبحث الثامن: القرآن يكذب وعود المنافقين لليهود ويصف طبيعة اليهود	67
المبحث التاسع: الإعجاز الغيبي في وصف طبيعة اليهود من حرص على الحياة	70
المبحث العاشر: الإخبار بأن النبي صلى الله عليه وسلم لن يكبر له ولد وأنه خاتم النبيين	73
المبحث الحادي عشر: إعجاز القرآن في الأخبار عن الغيب تحديهم أن ياتوا بمثله	76
المبحث الثاني عشر: استعمال حرف السين للإخبار عن المستقبل	79
المبحث الثالث عشر: الإخبار بحل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم	83
المبحث الرابع عشر: أمثلة الإعجاز العلمي	88
الفصل الثالث: الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي دراسة تحليلية نقدية لأهم أمثلته	89
المبحث الأول: كيفية الوقوف على الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي	90
المبحث الثاني: دراسة تحليلية نقدية لأمثلته	94
الخاتمة	105
قائمة المصادر والمراجع	107
الملخص باللغة الانجليزية	b

الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم

دراسة تحليلية نقدية

إعداد

عمر محمد أبو ليل

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

الملخص

تناول هذا البحث الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، وتم دراسة الموضوع بمنهج تحليلي نقدي، وقسمته إلى ثلاثة فصول رئيسية، فبدأت في الفصل الأول وفيه معاني الإعجاز الغيبي في اللغة والاصطلاح، مع بيان أبرز تعريفات العلماء لهذا العلم الجليل.

ثم ذكرت موقف العلماء من الإعجاز الغيبي، وتم ترتيب العلماء زمنياً، فوضعت آراء العلماء القدماء في مطلب، ثم آراء العلماء المحدثين والمعاصرين في مطلب آخر، مع ترجيح الأقوال ونقدها.

ثم أفردت مبحثا خاصاً في وقوع التحدي بالإعجاز الغيبي، وتبين بعد التحليل والمناقشة، أن الإعجاز الغيبي هو معْجِّز ولكنه لم يقع به التحدي، وهذه النتيجة خلصت لها بعد ذكر الأدلة.

ثم تم تقسيم أمثلة الإعجاز الغيبي إلى فصلين، فوضعت في الفصل الأول أبرز الأمثلة على الإعجاز الغيبي بالإخبار عن المستقبل دراسة تحليلية نقدية لأهم أمثلته، إذ أنه من الصعب بمكان أن تحتوي رسالة على كافة أمثلة الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، وقسمت كلَّ مثال في مبحث مستقل مع ذكر النص المعجز في بداية كل مبحث، ثم ذكر مقدمة تمهيدية لكل مقطع، وبعدها بيان وجه الإعجاز الغيبي في الآيات الكريمة، مع مناقشة آراء العلماء وترجيح الأقوال إن كان هناك خلاف بين العلماء.

وخُصِصِ الفصل الأخير لأمثلة الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي، وبدأته بمبحث بينت فيه كيفية الوقوف على الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي، وأردت فيه أن أبيين وجه دلالة الأخبار الماضية في إثبات الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، ثم أفردت مبحثاً لدراسة ونقد

أمثلة الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي، فوضعت أبرز ما تداوله وذكره العلماء والمفسرون في ثنايا كتبهم، وتم انتقاء هذه الأمثلة دون سواها لأن العلم الحديث من أبحاث وتنقيبات، جاء مصدقا لما أخبر به القرآن الكريم من إخبارات.

الباحث

مقدمة

الحمد لله الذي جعل كتابه هدىً ونوراً وشفاءً لما في الصدور، وأمرنا بتدبره وفهمه والعمل به، والصلاة والسلام على نبي الهدى والداعي إلى صراط مستقيم، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، وبعد :

فإن القرآن الكريم هو دستور الأمة وأساس سعادتها ورقيها في الدنيا والآخرة، ولذلك أمرنا سبحانه بقراءته وفهمه وتدبره، وذلك للوقوف على أهدافه ومقاصده، وتحقيق الغاية التي لأجلها أنزل الله كتابه، فقال تعالى : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (محمد:24) ، وقال أيضاً : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** (النساء:82) .

وقد هيأ الله عز وجل للعلوم القرآن الكريم رجالا، مُلئت قلوبهم بحب الله وخشيته، فنفوا عن هذا الكتاب انتحال المبطلين، وتحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، حتى قال فيهم رسول الله الكريم، عليه الصلاة وأتم التسليم : "يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين "[1]، فتحمل هؤلاء العلماء مكابدة الليالي، وأعباء السفر، وعظم الأمانة التي وكلوا بها، فضحوا بحياتهم، ووهبوا أعمارهم، وهجروا لذات فراشهم، كل هذا ليخدموا كتاب ربهم، ويذبوا عنه ما استطاعوا، حتى وصل إلينا نقيا صافيا، لا عوج فيه ولا أمتَ، عذبا كما نزل من السماء، فجزاهم الله عنا وعن كتاب ربهم كل الخير.

وقد اختص الله تعالى هذا الكتاب بكونه معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إلى آخر الأزمان، ولعظيم هذا الشأن انشغل علماؤنا فدرسوا إعجازه، وصنفوا وألفوا وبذلوا ما لديهم لأجل موضوع الإعجاز.

ومن أنواع الإعجاز التي ذكرها العلماء في القرآن الكريم، الإعجاز الغيبي، وبه قال معظم العلماء واعتبروه وجها صحيحا لإثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن الكريم من

---

[1] – البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين، **سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، (1414هـ – 1994م)حديث رقم 20700، 209/10، ، وقال الصنعاني"وصححه ابن عبد البر وروي عن أحمد بن حنبل أنه حديث صحيح، وحسنه الحافظ العلائي"، انظر، الصنعاني، محمد بن إسماعيل، **ثمرات النظر في علم الأثر**، تحقيق : رائد بن صبري بن أبي علفة، السعودية، الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع،(ط 1 – 1417هـ – 1996م)، 144/1-145 . وصححه الألباني، انظر، العمري، محمد بن عبد الله الخطيب، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط3 \1985م)، حديث رقم 248، 82/1.

عند الله تعالى، وتباينت آراؤهم بين مبالغ فيه حتى جعله الوجه الأول للإعجاز، وبين من لم يعده وجها للإعجاز وإنما هو دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكروا العشرات من الأمثلة على الأخبار الغيبية، بقسميها المستقبلي منها والماضي، وناقشوها في تفاسيرهم وكتبهم.

ودراستي هذه تتركز -بعون الله- على التعريف بالإعجاز الغيبي، ومناقشة آراء العلماء والترجيح بينها، وتحقيق إن كان قد وقع به التحدي أم لا، وبيان كيفية الوقوف على هذا النوع من الإعجاز، ثم نقد أبرز الأمثلة للإعجاز الغيبي بقسميه، وبيان وجه الإعجاز الغيبي في كل مثال.

أهمية الدراسة

ما يزيد من أهمية أي بحث هو الموضوع الذي تناوله، وهذه الدراسة قد تطرقت إلى علم شريف من العلوم، بل هو أسمى العلوم، لأنه يختص بكتاب الله عز وجل، وعلم من علومه وقبس من هداه، ألا وهو علم إعجاز القرآن الكريم، ومن أبرز ما يميز هذه الدراسة ما يلي:

1- أنها أخرجت أراء العلماء في الإعجاز الغيبي من ثنايا كتبهم وقربتها للقارئ.

2- أنها يسرت للقارئ الوقوف على الإعجاز الغيبي بشكل عصري وسهل وميسر.

3- ربطت بين آيات الله عز وجل، وبين الحقائق التاريخية والعلمية.

4-أنها أزالت الكثير من الشبهات حول الإعجاز الغيبي.

5- أنها تخصصت في موضوع قلما كُتب فيه بشكل متخصص، فأغلب ما هنالك مقالات، أو فصول منفردة في ثنايا الكتب.

6- أنها تضمنت دراسة أمثلة الإعجاز الغيبي والوقوف على أقوال أهل العلم حولها.

7- الحاجة إلى مثل هذه الأبحاث المتخصصة في مكتباتنا وجامعاتنا حول العالم.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة، في الإجابة عن الأسئلة التالية :

1- ما هو التعريف الدقيق للإعجاز بوجه عام والإعجاز الغيبي بوجه خاص؟

2- كيف نقف على الإعجاز الغيبي؟

3- من قال بالإعجاز الغيبي؟

4- هل وقع التحدي بالإعجاز الغيبي؟

5- ما هي أنواع الإعجاز الغيبي؟

6- كيف نقف على أمثلة الإعجاز الغيبي ونجمع بين الأقوال؟

7- ما العلاقة بين الإعجاز الغيبي والإعجاز العلمي؟

أسباب اختيار الموضوع

1- من أجل خدمة دين الله عز وجل وكتابه، وتنفيذ أمره تعالى بتدبر القرآن الكريم وفهم معناه واستخراج لألئ من كنوزه.

2- عدم وجود دراسة متكاملة متخصصة في موضوع الإعجاز الغيبي، إذ إن كل ما وجد عبارة فصول وأبحاث في ثنايا الكتب .

3- مدى أهمية موضوع الإعجاز بشكل عام والإعجاز الغيبي بشكل خاص.

4- أهمية تقديم موضوع الإعجاز بشكل سهل وميسر، ومتناسب مع إنسان هذا العصر.

5- الوقوف على آراء العلماء وتوضيح أدلتهم ، وبيان الأرجح منها .

6- نفي بعض الشبهات الدائرة حول القرآن الكريم بوجه عام، وعن الإعجاز الغيبي بوجه خاص.

7-مناقشة أمثلة الإعجاز الغيبي بنوعيه ومعرفة وجه الإعجاز فيها.

أهداف الدراسة

تتلخص أهداف هذه الدراسة بالآتي :

1- توجيه المسلمين نحو علم هام مرتبط تمام الارتباط مع كتاب ربهم.

2- توضيح الكثير من المسائل الغامضة في موضوع الإعجاز الغيبي.

3- بيان جهود العلماء وخدمتهم لعلم الإعجاز وأبرز ما استوعبته كتبهم حول الإعجاز الغيبي.

4- بيان عظمة الإسلام وأنه اختص بكتاب لا تزال إلى الآن معجزاته تترى، وأخباره تصدق.

5- توضيح أنواع الإعجاز الغيبي بضرب الأمثلة حول الموضوع.

6- نفي بعض الشبهات حول الإعجاز الغيبي بالدليل.

7-مناقشة أمثلة الإعجاز الغيبي بأسلوب نقدي تحليلي .

الدراسات السابقة

لا يخفى على أحد ما بذله العلماء في موضوع الإعجاز عامة، وما صنفوا فيها حتى امتلأت المكتبات بنور مؤلفاتهم في الإعجاز، ومن أبرز من كتب في موضوع الإعجاز الغيبي:

1 -**الرماني، علي بن الحسن .(ت :386هـ)، النكت في إعجاز القرآن** فقد عدد أوجه الإعجاز، وذكر سبعة أوجه وعد منها الإعجاز الغيبي، وعرفه ثم ساق نماذج وامثلة من القرآن الكريم

2 -**الخطابي، حمد بن محمد بن ابراهيم (ت : 388هـ)، بيان إعجاز القرآن** ، وهي رسالة كتبها حينما نظر إلى الناس ، ووجدهم يتكلمون في الإعجاز من غير علم وتشعب موضوعه، فألف هذه الرسالة اللطيفة، وذكر وجوه الإعجاز وبين الصحيح منها، وفي الإعجاز الغيبي عرفه وبين وجه دلالته ثم تحدث عن الإعجاز الغيبي، وأنه لم يقع التحدي به وساق أدلة ونماذج حول الموضوع.

3 -**الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت :403هـ) ،إعجاز القرآن**، وذكر فصلا حول الإعجاز الغيبي وقسمه إلى أقسام، وعده من وجوه الإعجاز الصحيحة.

4 -**السيد، أحمد عمر أحمد، الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية على بعض الآيات، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم-جامعة القاهرة، مصر، (2011م)، 7\244.**

5 -**المسير، محمد أحمد، الإخبار بالغيب كوجه من وجوه الإعجاز القرآني، رسالة التربية، جامعة الملك عبد العزيز،(1984)، ص43-78.**

وهذه النماذج السابقة من بعض الكتب، تم وضعها على سبيل المثال لا الحصر، ولو ذكرت كل من تكلم عن الإعجاز الغيبي في كتبه لطال المقام .

وتميزت هذه الرسالة عن تلك الدراسات فيما يلي:

1- أنها تخصصت في موضوع الإعجاز الغيبي بشكل مستقل.

2- ضمت آراء العلماء المتقدمين والمتأخرين.

3- حوت نماذج من الإعجاز الغيبي لم تتطرق إليها تلك الدراسات.

4-أخرجت الموضوع بشكل يناسب إنسان هذا العصر بلغة سهلة قريبة.

5-رجحت بين الأقوال وخلصت بأصح الآراء في كل مسألة بعد التحقيق.

منهجية الدراسة

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي أولا، ثم المنهج النقدي ثانيا، وذلك من خلال النظر في كتب العلماء وخاصة القديمة منها، والتي تعد لبنات لموضوع الإعجاز بشكل عام، فقمت بقراءتها والتدقيق في أقوال العلماء بين ثناياها، ثم مقارنة تلك الأقوال والتأكد من عزو كل رأي إلى صاحبه، مع نقد أقوالهم وبيان الراجح منها، ثم إيراد بعض الشبهات والرد عليها بالرأي الأصح والدليل الواضح، وتم الرجوع إلى كتب التفسير حين وضعت نماذج للإعجاز الغيبي، والرجوع إلى كتب متخصصة في التاريخ، وكتب أخرى تدل على إثبات الإعجاز الغيبي عن طريق

التاريخ والعلم الحديث، فوضعت في بداية كل مثال، الآية التي وقع بها الإعجاز، ثم وضعت مقدمة حول كل آية، وبعد ذلك تم ذكر وجه الإعجاز الغيبي فيها، ثم بيان الوجه الراجح إن كان هناك خلاف، كما وتطرقت إلى بعض المسائل التي لم تلق عناية في الذكر والعرض لدى كثير من العلماء.

وكل ذلك كان بخطوات وفق المنهجية العلمية المتبعة في جمع الآراء وتحقيقها، وبيان الوجه الراجح، وقد اتبعت في ذلك الخطوات التالية :

1- اتباع المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وإيراد الأقوال والترجيح بينها.

2- ترقيم الآيات والخطوط وفق رسم المصحف العثماني.

3- تخريج كل حديث أو أثر ورد في ثنايا البحث، وفق المنهجية العلمية الحديثة.

4- عزو كل قول إلى قائله حتى لو كانت كلمة.

5- الأخذ من المراجع القديمة الأصيلة في الأغلب، والرجوع إلى المراجع الحديثة عند الحاجة .

6- ترتيب أقوال العلماء وآرائهم حسب تواريخ وفياتهم، وإذا لم تكن سنة الوفاة مدرجة في بطاقة الكتاب رجعت إلى كتاب الأعلام للزركلي.

7- بيان الغامض من المفردات والمعاني والأقوال، بالرجوع إلى كتب المعاجم القديمة.

8-الالتزام التام بالتوثيق وفق المنهجية العلمية الحديثة.

9- وضع علامات الترقيم والتشكيل والتصنيف كما يقتضي البحث العلمي .

خطة الدراسة

تتكون خطة هذه الدراسة من: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وهي على النحو التالي:

الفصل الأول: التعريف بالإعجاز الغيبي وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإعجاز الغيبي في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: موقف العلماء من الإعجاز الغيبي.

المبحث الثالث : هل وقع التحدي بالإعجاز الغيبي.

الفصل الثاني: الإعجاز الغيبي بالإخبار عن المستقبل دراسة تحليلية نقدية لأمثلته.

الفصل الثالث: الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي دراسة تحليلية لأمثلته، وفيه:

المبحث الأول: كيفية الوقوف على الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي

المبحث الثاني: دراسة تحليلية نقدية لأمثلته

الفصل الأول

التعريف بالإعجاز الغيبي

ويحتوي هذا الفصل على ثلاثة مباحث وهي :

المبحث الأول: تعريف الإعجاز الغيبي في اللغة والاصطلاح

المبحث الثاني: موقف العلماء من الإعجاز الغيبي

المبحث الثالث : هل وقع التحدي بالإعجاز الغيبي

المبحث الأول

تعريف الإعجاز الغيبي في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول : تعريف الإعجاز الغيبي في اللغة

الإعجاز الغيبي مكون من مصطلحين الإعجاز والغيبي

أولا : تعريف الإعجاز لغة

الإعجاز من العجز ويأتي بمعانٍ عدة، يأتي بمعنى الضعف والقصور عن الشيء "(عجز) العين والجيم والزاء أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف والأخر على مؤخر الشيء ، فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزا فهو عاجز أي ضعيف ، وقولهم إن العجز نقيض الحزم فمن هذا لأنه يضعف رأيه "[1].

" العجز : الضعف، تقول : عجزت عن كذا أعجز ... والمَعْجِزَةُ بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العَجْز عدم القدرة ... ولا تُلِثُّوا بدارِ مَعْجِزَةٍ أي لا تقيموا بدارٍ يُعْجِزُكُمْ فيها الرِّزقُ والكسبُ...وفحل عَجِيز : عاجز عن الضِّراب "[2]

ويأتي بمعنى مؤخر الشيء ، يقول ابن فارس"" قال... وأما الأصل الآخر فالعَجْز مؤخر الشيء، والجمع أعجاز ، حتى إنهم يقولون عَجُز الأمر وأعجاز الأمور ، ويقولون لا تَدَّبُروا أعجازَ أمورٍ ولَّت صدوره‍ا... قال: والعَجِيزَة عجيزة المرأة خاصّة إذا كانت ضَخْمَة يقال امرأةٌ عَجْزاء ".[3]

ويؤكد ابن منظور المعنى بقوله:" وعَجْزُ الشيء و عِجْزُه: آخره ... وعَجُزُ الرجل : مُؤخَّره ... و العجوز و العجوزة من النساء : الشَّيْخَة الهَرِمة "[4]

---

[1] ابن فارس(ت 395 هـ)، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان،(ط2/ 1420هـ - 1999م)، 232/4.

[2] ابن منظور(ت:711هـ)، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (ط1/1990م)، 369/5.بتصرف.

[3] ابن فارس، **معجم المقاييس في اللغة**، 233/4. بتصرف.

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، 370/5-372.بتصرف.

ويتضح لماذا سميت المرأة الكبيرة في السن بالعجوز ، وذلك لعجزها وضعفها عن الحمل والإنجاب وعن كثير من الأعمال التي كانت تقوم بها في شبابها، قال تعالى : **(قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ)**{هود:72} .

ويكون بمعنى الفوت والسبق ، وذلك كقوله تعالى: **(وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ)** {فاطر:44} ، " أي: ما كان ليسبقه ويفوته من شيء من الأشياء كائناً ما كان فيهما "[1]. وقد عده ابن منظور من معاني العجز ، إذ يقول " ومعنى الإعجاز الفَوت والسَّبْقُ، يقال : أَعْجَزَني فلان أي فاتني، ومنه قول الأعشى :

فَذَاكَ ولم يُعْجِزْ من الموت رَبَّه   ولكن أَتاه الموتُ لا يَتَأَبَّقُ[2]"[3]

"ويقال أَعجَزني فلانٌ إذا عَجِزت عن طلبه وإدراكه "[4]، ويقول الزمخشري: "وطلبته فأعجز وعاجز إذا سبق فلم يُدْرك "[5]

فبهذا يتبين أن العجز إنما هو عائد إلى أصل واحد وهو الضعف والقصور عن الشيء، إذ إن من تأخر عن شيء إنما كان ذلك بسبب ضعفه وقصوره، وكذلك الحال في الفوت والسبق، فمن فاته شيء فهو بسبب قصوره وضعفه عن اللحوق.

---

1 الشوكاني(ت 542 هـ)، محمد بن علي بن محمد ، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت 356/4 .

[2] الأعشى(ت:629هـ)، ميمون بن قيس بن جندل، **ديوان الأعشى الكبير**، بلا طبعة او دار نشر،217/1.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**،370/5-375.

[4] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 232/4.

[5] الزمخشري(ت:538)، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، **أساس البلاغة**، دار الفكر، (1399هـ 1979م)، 409/1.

ثانيا :تعريف الغيب في اللغة

الغيبي من الغيب، ويعود معناها إلى معنى واحد أصيل وهو الاستتار، سواء أكان عن الأعين أم الحواس ونحوها.[1]

فمن معاني الغيب التي تأتي بمعنى الاستتار عن الحواس قوله تعالى : (**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**) {البقرة:3} " الغيب كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك، وذلك مثل الملائكة، والجنة، والنار، والصراط، والميزان، ونحوها ."[2] أي يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم، من أمر البعث والجنة والنار . وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به "[3] .

ويعزز الراغب هذا المعنى حين يقول في قوله تعالى: { أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ }(النمل:20) "واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب قال { وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (النمل : 75) ويقال للشيء: غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى ، فإنّه لا يغيب عنه شيء ، ما لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وقوله : (عَالمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)(الأنعام:73) أي ما يغيب عنكم وما تشهدونه "[4]

ويأتي بمعنى الاستتار عن العيون ، وإن كان محصلا في القلوب ، " الغيب مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين"[5]" ويقال : سمعت صوتا من وراء الغيب، أي من موضع لا أراه، وقد تكرر في الحديث ذكر الغيب، وهو كل ما غاب عن العيون، سواء كان محصلا في القلوب أو غير محصل، و غاب عني الأمر غيبا"[6] ، فمن الأحاديث التي ورد فيها ذكر الغيب، ما ما يرويه البخاري من طريق بن عمر رضي الله عنه " قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِفْتَاحُ

---

[1] انظر، ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (403/4).

[2] السمعاني(ت:489هـ)،أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، **تفسير القرآن**، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية،(ط1/ 1418هـ- 1997م) 43/1

[3] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة 403/4.

[4] الراغب الأصفهاني(ت:502هـ)، الحسين بن محمد بن المفضل، **المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني** ، دار المعرفة، لبنان،1/٣٦٦ - ٣٦٧.

[5] المرجع السابق، 366/1.

[6] ابن منظور، **لسان العرب** 654/1.

الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إلا الله لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما يَكُونُ في غَدٍ ولا يَعْلَمُ أَحَدٌ ما يَكُونُ في الْأَرْحَامِ ولا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وما يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ "[1]

ومنه غياب الرجل عن بلده أو عن زوجته، وغيابة الارض أي استتارها من العيون جاء في معجم مقاييس اللغة: " ويقال: غابت الشَّمس تَغِيب غَيْبَةً وغُيُوباً وغَيْباً. وغابَ الرَّجل عن بلده. وأغابَتِ المرأةُ فهي مُغِيبةٌ، إذا غابَ بعلُها. ووقَعْنا في غَيْبَةٍ وغَيَابة، أي هَبْطة من الأرض يُغابُ فيها "[2]

وفي قول الله تعالى في سورة يوسف (وَأَلْقُوهُ فِى غَيَابَةِ الْجُبِّ) (يوسف:7) أي في مكان غائر في الأرض بعيد عن العيون ، يقول الرازي: " وإنما ذكرت الغيابة مع الجب دلالة على أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجب ، لا يلحقه نظر الناظرين ، فأفاد ذكر الغيابة هذا المعنى إذ كان يحتمل أن يلقى في موضع من الجب لا يحول بينه وبين الناظرين ."[3]

فيكون معنى الغيب هو "كل ما غاب عنك "[4] ويظهر أن كل المعاني السابقة له تعود إلى إلى الاستتار والخفاء سواء كان عن الحواس كيوم القيامة والملائكة ونحوهما أو عن الأعين كالشمس.

المطلب الثاني : تعريف الإعجاز الغيبي في الاصطلاح

إن لفظ الإعجاز لم يرد في القرآن بالمعنى الذي عرَّفه العلماء فيما بعد، وورد في القرآن الكريم ما يشبهه بغير هذا اللفظ، مثل آية وبرهان وسلطان وبينة وغيرها.

---

[1] البخاري، كتاب الإستسقاء، بَاب لَا يَدْرِي مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ إلا الله، 992 ، 1\351.

[2] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 403/4، وانظر، الفراهيدي(ت:174هـ)، الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي / د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (455/8) .

[3] الرازي (ت:606هـ)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي ، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** ، دار الكتب العلمية،بيروت،(ط1/ 1421هـ – 2000م)، 77/18.

[4] الرازي(ت:675)، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، **مختار الصحاح**، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،(1415 – 1995)، 203/1.

ولم ترد في القرآن الكريم لفظة إعجاز أو معجزة، كما لم يستعملها المؤلفون قديما، بل استعملوا مكانها "آية" أو "كرامة"، حتى جاء الواسطي[1] واختار "إعجاز القرآن" عنوانا لكتابه المعروف[2].

وعند الرجوع إلى تعريفات العلماء للإعجاز نجد الأكثر لا يفرقون بين تعريف المعجزة وتعريف الإعجاز، ويضعونهما في سياق واحد، وهناك فروق أساسية بين المعجزة والإعجاز، فعد ا عن الجانب اللغوي والذي فيه أنّ الإعجاز هو إثبات العجز، بينما المعجزة هي أمر خارق للعادة... فالمعجزة حصلت وانتهت والإعجاز باق مستمر، كما أن دلالة المعجزة أبلغ من دلالة الإعجاز فلا يمكن لأحد إنكارها، بينما الإعجاز دلالته اقل من دلالة المعجزة.[3]

ويتفرع مما سبق أن للإعجاز في الاصطلاح عدة تعريفات :

منها تعريف الجرجاني وفيه "أنْ يؤدي المعنى بطريق، هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق "[4]

والجرجاني وضع للإعجاز حداً حيث يقول : "حد الإعجاز هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته"[5]

وقد بين مصطفى صادق الرافعي أن الإعجاز في أمرين:

"1 - ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.

2 - ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدّته المحدودة بالغة ما بلغت"[6]

---

[1]هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي، المتوفى سنة (306 هـ). وضع كتابه (إعجاز القرآن) وهو أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف، ولا يبعد أن يكون قد استفاد مما كتبه الجاحظ وبنى عليه.انظر،البغا، مصطفى ديب، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دمشق، (ط2، 1418هـ)، 19.

[2] انظر، يوسف،الحاج أحمد، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهرة** ،،مكتبة دار ابن حجر، دمشق (ط2003/2)، 15/1.

[3] للاستزادة حول الفروقات بين المعجزة والإعجاز، ينظر، الخالدي،صلاح عبد الفتاح الخالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**،دار عمار،عمان،(ط1/1421هـ-2000م)،ص 18 وما بعدها.

[4] الجرجاني(ت:816)،علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط 1/ 1405)، 47/1.

[5]الجرجاني، **التعريفات**، 112/1.

[6] الرافعي(ت:1356هـ)، مصطفى صادق الرافعي ، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، بيروت (ط 8/ 1425هـ - 2005 م)، ص 98.

ويمكن ملاحظة أن معنى الإعجاز في اللغة وفي الاصطلاح قد جاء متشابه اً متقارباً في كثير من المعاني مثل الضعف والتثبيط والقصور والتأخر.

وبالنظر في تعريف العلماء لإعجاز القرآن كمركب إضافي، فإننا نجد عدّة تعريفات منها:

1 ما ذكره القاضي عبد الجبار بقوله:" معنى قولنا في القرآن الكريم أنه معجِز أنه يتعذّر على المتقدّمين في الفصاحة فعل مثله، في القدر الذي اختصّ به" [1] وإذا تعذر على المتقدمين في الفصاحة والبلاغة فعل مثله، فمن باب أولى أن يُعجِزَ المتأخرين في الفصاحة والبيان، كالعلماء في أزمنة اللحن والضعف اللغوي.

2 -تعريف الزرقاني:" عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، ... والتقدير إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به "[2].

3 تعريف الحمصي:" هو كونه أمراً خارقاً للعادة لم يستطع أحد معارضته برغم تصدي الناس لها"[3].

4 تعريف مناع القطان:" إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة، وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم"[4]

5 وعرفه الدكتور صلاح الخالدي بأنه : "عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفّر ملكتهم البيانية ، وقيام الداعي على ذلك وهو استمرار تحدّيهم وتقرير عجزهم عن ذلك "[5] .وتعريف الدكتور الخالدي هو الأجمع والأمنع، وهو المختار.

المبحث الثاني

[1] عبد الجبار القاضي، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، **المغني في أبواب التوحيد والعدل** ، دار الكتب العلمية، بيروت،(2011.) 16/ 226.

2 الزرقاني،(ت:1367) محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، دار الفكر، لبنان، (ط2/ 1416هـ- 1996م)،238/2.بتصرف.

3 الحمصي، نعيم، **فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية الى عصرنا الحالي**، مؤسسة الرسالة، بيروت،(ط/2 198)،ص9.

4 القطان، مناع خليل، **مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،(ط3 1421هـ - 2000م)، 265/1.

[5] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني** ،دار عمار،عمان،(ط 1421/1هـ-2000م)،ص17.

موقف العلماء من الإعجاز الغيبي

في هذا المبحث تم وضع آراء العلماء القدماء والمعاصرين، حول الإعجاز الغيبي ، والأصل أن يقسم إلى مطلبين بين الموافقين والمانعين لهذا الوجه من الإعجاز، وبعد التمحيص تبين أن لا أحد من العلماء ينكر هذا الوجه، وإنما الخلاف بين العلماء، متمحور حول سؤالين، هل وقع به التحدي أم لم يقع ؟ وهل يصح أن يكون وجها وحيدا لإثبات الإعجاز أم لا يصح؟.

لذا تم ترتيب العلماء زمنيا ثم تم وضع آراء كل عالم في مكانه، إذ إن بعضهم عده وجهاً من وجوه الإعجاز لم يقع به التحدي، ومنهم من عده كدليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من عده وجها معجزا وقع به التحدي .

وفيما يأتي بيان موقف العلماء من الإعجاز الغيبي:

المطلب الأول : موقف العلماء القدامى من الإعجاز الغيبي

أولا: الرماني

من الملاحظ أن الرماني قد عده من أوجه الإعجاز السبعة التي ذكرها، وتحديدا الإخبار بالأمور المستقبلية حيث يقول :

"وأما الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية فإنه لما كان لا يجوز أن تقع على الاتفاق دل على أنها من عند علام الغيوب" [1] ثم ساق بعد ذلك أمثلة على غيبيات أخبر بها القرآن ثم وقعت، فدل من كلامه أن وجه الإعجاز في الأخبار الغيبية هو موافقة الأحداث لما ورد في القرآن الكريم، فقد توالت الأحداث المصدقة والمؤكدة لما جاء في القرآن الكريم، وهذا بلا شك لا مجال لبشرٍ أو مخلوق أن يخبر بمثل ما أخبر به القرآن الكريم ويتحقق كل ما حدث به.

ثانيا: أبو سليمان الخطابي

[1] الرماني(386هـ)، علي بن الحسن، **النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعرفة، مصر ، ط3،ص110.

من الواضح أن الخطابي يرى أن الإخبار بالغيب داخل ضمن إعجاز القرآن الكريم، ويعد عنده وجهاً من وجوه الإعجاز ولكنه ليس كافيا وحده في إثبات الإعجاز، لأن كل سورة في القرآن الكريم معجزة بذاتها ، والإخبار بالغيوب ليس موجودا في كل سور القرآن [1]، وهو محق فيما ذهب إليه كما سيأتي في المبحث التالي عند الكلام عن التحدي.

يقول الخطابي : "وزعمت طائفة إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان نحو قوله تعالى (**الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ {الروم: 1-4}** ولا يُشكُّ في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوعٌ من أنواع إعجازه؛ ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها؛ لا يقدر أحدٌ من الخلق أن يأْتيَ بمثلها، فقال تعالى(فأتوا بسورة من مثله وادعوا شُهداءَكُمْ من دون الله إن كنتم صادقين) (البقرة:23)، من غير تعيين، فدل على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه"[2] .

ويلاحظ من كلام الخطابي أنه يعد الأخبار الغيبية وجهاً من وجوه الإعجاز إلا إنها لم يقع بها التحدي بدليل قوله إنها غير موجودة في كافة سور القرآن الكريم، فمفهوم الكلام يدل على أن ما ثبت في بعض السور إنما هو من إعجاز القرآن الكريم.

ثالثا: الإمام أبو بكر الباقلاني

---

[1] انظر،عمار، د.احمد سيد عمار، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم** ، دار الفكر، دمشق، سورية، (ط1418/1هـ-1998م)، ص 83.

[2] الخطابي(ت سنة 388هـ)،حمد بن محمد بن إبراهيم، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعرفة – مصر ، ط3،ص23.

يرى الباقلاني أن الإخبار عن الغيب داخل في وجوه الإعجاز [1]، فهو يقول:" ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز أحدهما يتضمن الإخبار عن الغيوب وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه "[2] .

وهو يقسمها إلى قسمين: غيب يتعلق بأمور مستقبلية قد حدثت، وغيب يتعلق بذكر القرآن الكريم لقصص الأمم السابقة.

والباقلاني لم يتحفظ على الإعجاز الغيبي كما تحفظ عليه الخطابي، فقد أورد رأيه القائل بأن أخبار الغيب داخلة في وجوه الإعجاز، واستدل عليه بشواهد كثيرة[3]، إذ يقول عن الوجه الأول في إخباره بأمور مستقبلية: " فأما الفصل الذي بدأنا بذكره من الإخبار عن الغيوب والصدق والإصابة في ذلك كله فهو كقوله تعالى (**قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ[4] مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ)** { الفتح : 16 } فأغزاهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما إلى قتال العرب والفرس والروم"[5].

ويقول في الوجه الذي يتعلق بذكرِ الأخبار الماضية:

"وأما الوجه الثاني الذي ذكرناه من إخباره عن قصص الأولين، وسير المتقدمين فمن العجيب الممتنع على من لم يقف على الأخبار، ولم يشتغل بدرس الآثار، وقد حكي في القرآن تلك الأمور حكاية من شهدها وحضرها، ولذلك قال الله **(وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)** { العنكبوت: 48 } " [6]، فالباقلاني هنا يشير إلى كيفية الاستدلال بمثل هذه الأخبار على الإعجاز، فأثبت أنَّ أمية الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على الإعجاز، وأن دقة التفاصيل في تلك القصص حتى كأنه صلى الله عليه وسلم شاهدها دليل آخر.

---

[1] انظر،الخالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**،92.

[2] الباقلاني(ت سنة 403هـ)، أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف،مصر، (ط1997/5م)،33/1.

[3] سيد عمار، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم**،88.

[4] هم الأعراب الذين تخلفوا عن المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، انظر، القرطبي، تفسير القرطبي،272/16.

[5] الباقلاني، **إعجاز القرآن**، 48/1.

[6] المرجع السابق، 1\48 –49.

رابعا: الشريف المرتضى

يظهر أن الشريف المرتضى يرى أن الإخبار عن الأمور الماضية واقعة في إعجاز القرآن الكريم لقوله في مقام رده على من قصر الإعجاز على الإعجاز الغيبي دون سواه :"يصح قول هذا الفريق إذ ذهبوا إلى أن تلك أحد وجوه حمله إعجاز القرآن وضرب من ضروب دلائله على النبوة، لأننا لا ندفع هذا ولا ننكره وهو من وجوه دلائل القرآن المذكورة وجهات إعجازه الصحيحة"[1]

فيرى الشريف المرتضى أن الإخبار بالغيوب جزء من إعجاز القرآن الكريم على أنه لا ينبغي أن يعد الوجه الوحيد للإعجاز، أو أنه قد وقع به التحدي دون غيره. بدليل قوله " فأما إن أرادوا اختصاصه بالإخبار عن الغيوب هو الوجه الذي كان منه معجزاً أو دالاً و أنه يدل من غيره على النبوة، وأن التحدي به وقع دون ما عداه فذلك يبطل من وجوه" [2]." ثم ذكر ثلاثة وجوه رد فيها قول من قصر الإعجاز على الجانب الغيبي دون سواه.[3]

ولكن يظهر من كلام الشريف المرتضى أن كلامه السابق إنما كان عن الأخبار الماضية ، وأما الأخبار المستقبلة فلا يعدها من وجوه الإعجاز، لأنها لم تقع أمام عين المتحدَى لقوله : "فأما القسم الثاني وهو الخبر عن المستقبل فإنه إنما يكون دالاً على وقوع مخبره موافقاً الخبر قبل وقوعه لا فرق فيه بين الصدق والكذب، اللهم إلا أن تقع مما دلت دلالة غير ذلك الخبر على صدقه، فيعلم صحة الخبر بتلك الدلالة المتقدمة لا بنفسه، ومعلوم أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان يطالب القوم بالإقرار به ويدعوهم إلى التسليم، ولم يفعل ذلك إلا وهم يتمكنون من الاستدلال على صدقه وغير مفتقرين في العلم إلى حضور زمان متراخٍ، وهذا يبطل أن تكون جهة إعجازه مما يتضمنه من الأخبار عن الحوادث المستقبلة"[4] .

---

[1] الشريف المرتضى (ت: 436هـ)، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى، **الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة)**، تحقيق: محمد رضا الانصاري، مشهد، مجمع البحوث الإسلامية، (1424 هـ/2004م) ، 116.

[2] المرجع السابق، 117.

[3] انظر،المرجع السابق،118.

[4] المرجع السابق، 118.

ويتضح من كلامه أن الأخبار المستقبلة إذا وقع مخبرها، فهي تصح أن تكون وجها للإعجاز، وساق أمثلة من القرآن الكريم مثل الإخبار عن هزيمة الفرس وعن نصر المستضعفين، وعد هذه الأمثلة ضمن الإعجاز بسبب وقوع مخبرها فأصبحت علما قطعيا، لقوله " وإذا صح ما ذكرناه، وورد القرآن بأخبار عن حوادث مستقبلة مفصلة ووقعت مخبراتها بحسب الأخبار، فيجب أن تكون دلالة أو معجزة، لخروجها عن العادة وعما يتمكن البشر منه ويصلون إليه"[1].

خامسا: القاضي عياض

يقسم القاضي عياض الإعجاز الغيبي إلى قسمين ، ويفرد كل قسم في وجه مستقل للإعجاز، فهو يعدّ الإخبار بأمور مستقبلية أحد وجوه الإعجاز المستقلة، وقد بوب له بهذا الاسم في كتابه (الشفا) فقال: "الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع، فَوُجِدَ كما ورد على الوجه الذى أخبر ، كقوله تعالى **(لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)**{ الفتح :27 } وقوله تعالى **(وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)** { الروم:3} "[2]،.ثم ساق بعض الأمثلة .

ثم هو يفرد الإخبار عن الأمم السابقة ونحوها في وجهٍ مستقلٍ للإعجاز حيث قال : "الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ، والأمم البائدة والشرائع الداثرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك، فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه ، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم"[3]

فالقاضي عياض يرى أن محور الإعجاز في هذا الوجه هو أن مثل هذه الأخبار الماضية لا يمكن أن يعلمها إلا الحبر العظيم من أهل الكتاب، الذي أمضى حياته في تجميع الأخبار وقراءة

---

[1] المرجع السابق،121.

[2] عياض القاضي(ت سنة 544هـ)، أبو الفضل عياض اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، دار الفكر، بيروت،لبنان، (1409 هـ – 1988 م)، 1/203-204.

[3] المرجع السابق، 1/270.

الكتب والتاريخ، وهذا ما لم يكن معهودا في سيرة نبينا عليه الصلاة والسلام إذ إنه أميٌ ولم يسبق له أن نظر في كتب السابقين أو خالط أحبارهم.

سادسا: القرطبي

ذكر الإعجاز الغيبي في مقدمة تفسيره ، وقسمه إلى قسمين أيضا وجعل كلاً منهما وجهاً مستقلا من وجوه الإعجاز، وهما الإخبار بأمور الماضي والإخبار بأمور مستقبلة.

فيقول عن القسم الأول وهو الإخبار بأمور الماضي وقصص السابقين "ومنها : الإخبار عن الأمور التي في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمي، ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها والقرون الخالية في دهرها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه وتحدوه به من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين فجاءهم وهو أمي من أمة أمية ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته فتحققوا صدقه"[1].

فيتبين أنه يرى أن أمية الرسول صلى الله عليه وسلم تجعل من مثل هذه الأخبار وجها من وجوه الإعجاز فلا يمكن أن يأتي بمثل هذه الأخبار إلا من شاء الله له أن يطلع.

ثم يسرد القرطبي القسم الآخر من الإعجاز الغيبي وهو الإخبار بأمور مستقبلية حيث يقول :"ومنها : الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يُطَّلَعُ عليها إلا بالوحي، فمن ذلك : ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى : { **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**}... فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين ، أو من أوقفه عليها رب العالمين فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه."[2]

سابعا: السيوطي

---

[1] القرطبي(ت سنة 671هـ)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** ،تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية (1423، هـ/ 2003م)،1/74-75.

[2] المرجع السابق، 1/74-75.بتصرف.

يقول السيوطي في معرض تعداده لوجوه الإعجاز ": الرابع من أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدا ثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذي قضى عمره في تعلم ذلك، ويورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب"[1]

ويظهر أن جملته هذه قد نقلها من كتاب الشفا للقاضي عياض دون أن ينسبها إليه [2]، ولكن تبين أنه يقبل بهذا الوجه أن يكون وجهاً من وجوه الإعجاز، خاصة بعد العلم أنَّ السيوطي يعد أنَّ وجوه إعجاز القرآن لا متناهية.[3]

ثامنا: شهاب الدين الألوسي

أما الألوسي فقد عده من الإعجاز الغيبي، وكتب في مقدمة كتابه الروح الشبهات حول اعتباره إعجازا، ثم رد عليها ردا بليغا، وقد لخص شبهات المانعين والمنكرين بأربعة وجوه :

1 –أن الإصابة في المرة والمرتين ليست من الخوارق والحد الذي يصير به الأخبار خارقا غير مضبوط فإذا لا يمتنع أن يقال ما أشتمل عليه القرآن لم يصل إليه.

2 –أنه يلزم أن يكون أخبار المنجمين والكهنة عن الأمور المغيبة مع كثرة إصابتها معجزة.

3 – أنه يلزم أن تكون التوراة كذلك لاشتمالها كاشتماله.

4 –أنه يلزم أن يكون الخالي عن الأخبار بالغيب من القرآن غير معجز.[4]

رد الالوسي على شبهات المانعين للإعجاز الغيبي:

---

[1] السيوطي(ت سنة 911هـ)، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق : سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان،(ط1\ 1416هـ- 1996م)،323/4.

[2] النص منقول بمثله تقريبا، انظر،القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، 203/1-204.

[3] انظر، بن عقيل، محمد بن حسن، **معترك الأقران في إعجاز القرآن(منهجه ومنزلته بين كتب الإعجاز)**، بحث لنيل درجة الدكتوراة، جامعة أم القرى-كلية الدعوة وأصول الدين،السعودية،1416هـ، 2\711.

[4] الألوسي(ت سنة 1270هـ)، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي،**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي – بيروت،29/1-30.بتصرف.

1- فرد على الشبهة الأولى : لا يخفى أن ما ورد من أخبار الغيب في القرآن مما يعد في نظر أهل العرف[1] كثيرا لا تعتاد الإصابة فيه بجملته.

2- ورد على الشبهة الثانية : بأن أخبار المنجمين ما كان كاذبا منها لا احتجاج به وما كان صادقا وتكررت الإصابة فيه كالكسوف والخسوف غير وارد لأنه من الحساب المعتاد لمن يتعاطى صناعة التنجيم وأخبار القرآن بالغيوب ليست كذلك، وأما أخبار الكهنة فالقول فيها كما في السحر

3- ورد على الشبهة الثالثة: أن ما في التوراة من الأخبار بالغيب إن كان كثيرا خارقا للعادة ووقع التحدي به فهو أيضا معجز وآية صدق لمن أتى به ولا يضرنا التزام ذلك .

4 - وختم برده على الشبهة الرابعة: أنه لا يرد على من يقول إنَّ وجه الإعجاز مجموع ما تقدم أصلاً ومن يقول: وجهه مجرد الأخبار بالغيب يقول بأن الخالي من ذلك غير معجز وإنما الأعجاز في القرآن بجملته ويكفي ذلك في غرضه[2]

المطلب الثاني: موقف العلماء المحدثين من الإعجاز الغيبي

أولا: مصطفى صادق الرافعي

يعتبر ما جاء في القرآن من أحداث تاريخية ومستقبلي ة وجهاً معجزاً، لكنه لم يفصل في ذلك لأن غرض كتابه بلاغي ولغوي، و إن كان تطرق إلى مسألة خلق الإنسان باعتبارها من المسائل الغيبية التي وقع بها الإعجاز.

ويلخص تصوره لإعجاز القرآن فيقول : " فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ومعجز في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه"[3]

ثانياً: محمد رشيد رضا

---

[1] هم القائمون بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلون أمورهم و يتعرفون على أحوالهم، انظر،ابن منظور،لسان العرب،239/9.

[2] انظر،**المرجع السابق**،30/1.بتصرف.

[3] الرافعي(ت سنة 1356 هـ) ، مصطفى صادق،**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، تحقيق : عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان ، المنصورة، مصر ، (ط1/ 1417 هـ - 1997م)، ص 156.

يرى صاحب المنار أن الإخبار عن الغيب من أبرز وجوه الإعجاز إذ قد عنون له بعنوان إِعجاز القرآن بما فيه من علم الغيب، قال في الوجه الثالث:

"(الوجه الثالث) : اشتماله على الْإِخبار بالغيب من ماض، كقصصِ الرسل مع أَقوامهم، وقد تقدم بعض الكلام فيه، ومن حاضر في عصر تنزيله ...ثم يسوق الآيات التي ورد فيها هذا الوجه ويكمل فيقول فهذه الْأَخبار الكثِيرة بالغيب دلِيل واضح على نبوة نبيِّنا وكون القرآن من عند الله تعالى، إذ لَا يعلم الغيب غيره سبحانه، ولا يمكن معارضتها بما يصح بالمصادفة أو القرائنِ أحيانًا من أَقوال الكهان والعرافين والمنجمين."[1]

ثالثاً: عبد الله دراز

يقول دراز رحمه الله في ثنايا رده على من يزعمون أن القرآن الكريم إنما هو إيحاءاً ذاتياً من نفس محمد صلى الله عليه وسلم : "ذلك شأن ما في القرآن من الأنباء التاريخية، لا جدال في أن سبيلها النقل لا العقل، وأنها تجيء من خارج النفس لا من داخلها ".[2]

ويظهر من كلامه أنه يعتبر الأخبار التاريخية داخلة ضمن الإعجاز، فهو يرى أن مدار الإعجاز في الجانب الغيبي أمية الرسول عليه السلام، ثم مجيء القرآن بهذا الكم من الأخبار والتفاصيل الدقيقة.

[1] رضا،(ت 1354هـ)، محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(1990 م)،170/1-171. بتصرف

[2] دراز(ت 1377هـ)، محمد عبد الله، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن**، دار الثقافة، الدوحة، (1985)، 39/1.

المبحث الثالث

هل وقع التحدي بالإعجاز الغيبي

التحدي لغةً يأتي بمعنى المبارزة والمنازعة والمباراة، جاء في مختار الصحاح " تحديت فلانا إذا باريته في فعل ونازعته الغلبة" [1]، ومن ذلك ما جاء في لسان العرب " و تحداه : باراه ونازعه الغلبة، وهي الحُدَيا . وأنا حُدَيَاك في هذا الأمر أي ابرز لي فيه"[2].

فالتحدي في الاصطلاح : "هو طلب الإتيان بالمثل على سبيل المنازعة والغلبة " [3].

وفي البداية يجب التفريق بين ما هو معجِّز وبين معجِّز قد وقع به التحدي، فحين القول إنَّ الأخبار الغيبية هي معجزة قد وقع بها التحدي ، يتحتم من ذلك أنَّ الله عز وجل طلب منهم الإتيان بمثل تلك الأخبار الغيبية التي جاء بها القرآن الكريم، ف إن لم يأتوا بها فقد بان ضعفهم وانتهت حجتهم، وكذلك الأمر يستلزم أنَّ من جاء بمثل هذه الأخبار قد صحت معارضته للقران الكريم.

وبعد النظر في المسألة وأقوال العلماء، ثم النظر في شروط التحدي والوجه الراجح فيه والحد له، تبين أنَّ الإعجاز الغيبي هو معجز لكنه لم يقع به التحدي للأدلة الآتية [4]:

أولاً : أن الراجح في القدر الذي تحدى الله به الناس، هو أن يأتوا بسورة كاملة كسور القرآن [5]، ومن المسَّلم فيه أنَّ الأخبار الغيبية ليست موجودة في كافة سور القرآن الكريم، ويتحتم من هذا أنَّ السور التي ليس فيها أخبار غيبية أنها غير معجزة، وقد تطرق له الإمام الخطابي كذلك في رسالته، إذ يقول بعد إثباته أنَّ الأخبار الغيبية وجه من وجوه الإعجاز:" قلت ولا يشك في أن هذا وما أشبهه

---

[1] الرازي، **مختار الصحاح**،54/1.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، 168/14.

[3] الخالدي، د.محسن سميح الخالدي، بحث بعنوان(**التحدي بالقرآن العظيم**)، المؤتمر العلمي الثالث، (الإعجاز في القرآن الكريم)، جامعة الأقصى-غزة، العدد الأول، 2000م،333/1.

[4] ما وضعته من أدلة في هذا المقام كانت هي الأدلة الراجحة دون سواها، لأن موضوع الرسالة ليس التحدي، ومن أراد النظر في باقي الأدلة على قدر التحدي والوجه الراجح فيه، فليراجع بحث د. محسن سميح الخالدي بعنوان **التحدي بالقرآن الكريم**.

[5] انظر، الإيجي(ت: 756هـ)، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد **المواقف**، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت،(ط1\ 1997م)، 400/3 .، والزركشي(ت:794هـ)، محمد بن بهادر بن عبد الله أب ا عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق : محمد أبالفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (1391هـ)، 108/2.

من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها"[1]

فلا بد للوجه المعجز الذي وق ع به التحدي أن يكون موجودا في كافة السور، ولا شك أنَّ هذا الوجه هو نظم القرآن الكريم وما يتبعه من فصاحة وبلاغة، وهو الرأي الذي رجحه جماعة من أهل العلم، يقول ابن عطية" الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه أن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه" [2].

ثانيا: إنَّ العرب في زمن تنزيل القرآن الكريم، لم يكونوا مطالبين بالإتيان بمثل هذه الأخبار التي لم تقع ضمن دائرة التحدي، فالتحدي يجب أن يكون بمثل ما يتقنه المُتحدَّى، والأخبار الغيبية أبعد ما تكون من قدرة العرب، فهم أمة أمية لا كتاب لهم ولا علم لهم إلا ما ندر مما أخذه بعضهم من أحبار اليهود، وبعض الأساطير من الكتب السابقة كما كان يفعل النضر بن الحارث[3] .

ويرى في ذلك الشأن الأستاذ محمود شاكر :" أنه إذا صح أن قليل القرآن وكثيره سواء في هذا الوجه – أي النظم والبيان– ثبت أن ما في القرآن جملة من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة، ومن أنباء الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله، كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب"[4]

---

[1] الخطابي، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**،ص23.

[2] ابن عطية(ت:542هـ)، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ،تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد،دار الكتب العلمية، لبنان،(ط/ 1 1413هـ- 1993م)، 52/1.وانظر، ابن أبي العز الحنفي(ت:731هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق : أحمد محمد شاكر، وكالة الطباعة والترجمة،(ط4/ 1391هـ)، 202، وأبالسعود(ت:1574م)، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،398/3.

[3] ابن أبي حاتم(ت:327هـ)، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن الرازي، **تفسير ابن أبى حاتم**،تحقيق : أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، 5/ 1689، وانظر، السيوطي، **الدر المنثور**، دار الفكر، بيروت، (1993 م)، 103/7.

[4] شاكر(ت:1418هـ)، **محمود محمد شاكر** ، ذكر ذلك في تقديمه لكتاب (الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1406هـ، 1986م، 28.بتصرف.

ثالثا: إنَّ وجه التحدي يجب أنَ يصل إلى حد لا لبس فيه، وأن لا يختلف عليه اثنان و أن يظهر جليا التفاوت فيه بين ما عند الله تعالى وبين ما عند البشر، فيمكن أن يقال: إن ما جاء في الكتب السابقة، على الرغم من الفارق بينها وبين ما جاء به القرآن من إخبار غاية في الدقة وجمالاً في الأسلوب، يمكن إن يقال أنها معارضات للقرآن الكريم، وكذلك ما يجيء به الكهان وأمثالهم.

ولهذا فقد منع بعض العلماء من أن تكون الأخبار الغيبية في القرآن وجها من وجوه الإعجاز، كما مر في المبحث السابق عند الكلام عن الالوسي، وفي هذا يقول الأستاذ محمود شاكر: " إن ما في القرآن من مكنون الغيب ومن دقائق التشريع ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي إلى الإعجاز، وإن كان ما فيه من ذلك كله يعد دليلا على أنه من عند الله تعالى، ولكنه لا يدل على أن نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم، وأنه بهذه المباينة كلام رب العالمين لا كلام بشر مثلهم"[1]

رابعا : إنَّ الأخبار المستقبلية لا يمكن أن تكون وجها وقع به التحدي، فهي في عين المُتحَدى ليست سوى أخبار تحتمل الصدق والكذب، ولا يمكن أن تعتبر إعجازا إلا بعد وقوعها وهذا ما لفت له الشريف المرتضى[2] .، فكيف يتحدى الله تعالى الناس بشيء لم يقفوا على برهانه، بل إنّ مشركي مكة اعتبروا ما جاء به القرآن من إخبارٍ عن نصر الروم ثغرة وفرجة لهم ليتمكنوا من الدين ويثبتوا(كذب النبي) –حاشاه–عليه أفضل الصلاة والسلام، وما جرى بينهم وبين أبي بكر من تحدٍ يوم أنزلت سورة الروم. [3]

ويتبين مما سبق أنّ الأخبار الغيبية وجه معجز لكنه لم يقع به التحدي، ولا يفهم من ذلك أن البشر يمكن لهم أن يأتوا بمثل أخباره، فهي بلا شك دليل على صدق نبوة محمد عليه السلام، ودليل على أنَّ القرآن من لدن عليم حكيم، ولا يمكن أن يأتي مخلوق ويجئ بمثل ما جاء به القرآن الكريم، ولكنها لم يتم التحدي بها .

---

[1] المرجع السابق، 31.

[2] انظر في هذا البحث ص19.

[3] انظر، الترمذي(ت:279هـ)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي. **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (بلا تاريخ)، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الرُّومِ حديث، رقم (3193)، 5/ 343، وقال حسن غريب .و ابن حنبل (ت: 209هـ)، أحمد بن حنبل أبا عبدالله الشيباني ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، مؤسسة قرطبة، مصر، حديث رقم 2770، 304/1. وقال عنه الالباني صحيح، انظر الالباني، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الاسلامية، عمان، ط1 ، 1\232.

الفصل الثانـي

الإعجاز الغيبي بالإخبار عن المستقبل دراسة تحليلية نقدية لأهم أمثلته

المبحث الأول

التنبّؤ بانتصار الروم على الفرس

المبحث الثاني

عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من القتل

المبحث الثالث

الإخبار بموت أبي لهب كافراً

المبحث الرابع

بشرى دخول الحرم

المبحث الخامس

إخبار الله تعالى بهزيمة المشركين في بدر

المبحث السادس

إخبار الله تعالى بدخان وعذاب يغشى كفار مكة

المبحث السابع

وعد الله تعالى بالتمكين للمؤمنين

المبحث الثامن

القرآن يكذّب وعود المنافقين لليهود ويصف طبيعة اليهود

المبحث التاسع

الإعجاز الغيبي في وصف طبيعة اليهود من حرص على حياة

المبحث العاشر

الإخبار بأن النبي صلى الله عليه وسلم لن يكبر له ولد وأنه خاتم النبيين

المبحث الحادي عشر

إعجاز القرآن في الإخبار عن الغيب تحديهم أن يأتوا بمثله

المبحث الثاني عشر

استعمال حرف السين للإخبار عن المستقبل

المبحث الثالث عشر

الإخبار بحل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الرابع عشر

أمثلة الإعجاز العلمي

يتبين من آراء العلماء السابقة، أنهم يقسمون الأخبار الغيبية الواردة في القرآن الكريم إلى قسمين، وهما الأخبار الماضية والأخبار المستقبلة، وإن كان بعض المعاصرين يفرد قسماً آخر تحت مسمى غيب الحاضر، وهم يعنون بذلك ما تحقق وقوعه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن يظهر أن (غيب الحاضر) هو جزء من غيب المستقبل، إذ إن ما وقع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، لا فرق بينه وبين ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

والمقصود بالأخبار المستقبلة، هي الأخبار التي تحدث عنها القرآن الكريم قبل وقوعها بأنها ستحصل، ثم تحقق الإعجاز بوقوعها، على الوجه الذي أخبر به القرآن الكريم.[1]

وفي هذا الفصل سيتم عرض أبرز الأمثلة التي قال بها العلماء والمفسرون، وسيتم مناقشتها والترجيح بين الأقوال إن كان هناك خلاف، ثم بيان وجه الإعجاز الغيبي في كل آية.

---

[1] انظر، الباقلاني، **إعجاز القرآن**،33/1.عياض، الشفا،1\203.

المبحث الأول

التنبؤ بانتصار الروم على الفرس

قال تعالى:

(الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ(7)){الروم:1-7}

المطلب الأول: حول السورة

هي السورة الرابعة والثمانون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الانشقاق وقبل سورة العنكبوت[1]، وهي السورة الثلاثون في تعداد ترتيبها في المصحف الشريف، وتأتي بعد سورة العنكبوت وقبل لقمان.

وهي مكية كلها من غير خلاف و آياتها ستون آية، حكاه ابن عطية والقرطبي، ولم يذكرها صاحب (الإتقان) في السور المختلف في مكيتها ولا في بعض آية [2]، وسميت بسورة الروم لأنها ابتدأت بذكر الروم، وهي السورة الوحيدة التي ذكر فيها اسم الروم.

سبب نزول السورة والجو الذي نزلت فيه: نزلت هذه السورة حين هزم الفرسُ الرومَ في بلاد الشام، فأصاب المسلمين حزن لأن الروم أهل كتاب والفرس عباد وثن لحديث ابن عباس التالي "عن ابن عباس ، رضي الله عنهما، في قوله تعالى:{ الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ } قال: غُلبت وغَلَبت. قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم [3]؛ لأنهم أصحاب أوثان،

---

[1] انظر، ابن عاشور(ت:1373هـ)،الشيخ محمد الطاهر، **التحرير والتنوير (الطبعة التونسية)**، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس،(1997 م)،39/21-40.

[2] انظر، القرطبي 14/5، ابن عطية، المحرر الوجيز، 4\327. وابن عاشور، **التحرير والتنوير** 39/21.

[3] "وأما الروم فهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم، وهم أبناء عم بني إسرائيل، ويقال لهم: بنو الأصفر. وكانوا على دين اليونان، واليونان من سلالة يافث بن نوح، أبناء عم الترك. وكانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة، ويقال لها: المتحيرة، ويصلون إلى القطب الشمالي، وهم الذين أسسوا دمشق، وبنوا معبدها، وفيه محاريب إلى جهة الشمال، فكان الروم على دينهم إلى مبعث المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان من ملك الشام مع الجزيرة منهم يقال له: قيصر. فكان أول من دخل في دين النصارى من الملوك قسطنطين بن قسطس " ابن كثير(ت: 774هـ)، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء ، **تفسير القرآن العظيم**، ، دار الفكر بيروت،(1401هـ)، 3\425. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، 1\194.

وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، فذُكر ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا. فجعل أجلا خمس سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال:"ألا جعلتها إلى دُون" أراه قال: "العشر". "قال سعيد بن جبير: البضع ما دون العشر. ثم ظهرت الروم بعد، قال: فذلك قوله: (الم . غُلِبَتِ الرُّومُ)"[1]

دراسة تحليلية نقدية لما تضمنته مقدمة سورة الروم من إعجاز غيبي

يظهر من النظرة الأولى في الآيات الكريمة، أن الإعجاز الغيبي فيها قد اقتصر على نصر الروم على الفرس في المدة التي ذكرها الله عز وجل في السورة، ولكن بعد البحث والإبحار في معاني الآيات والأحداث التي أعقبت نزولها، تبين أنها اشتملت على ثلاثة وعود أخبر بها القرآن الكريم قبل وقوعها، ثم صدقت الوعود بالتفصيل العجيب الذي ذكر في مقدمة السورة، وتندرج هذه الأحداث تحت مفهوم الإعجاز الغيبي بالإخبار عن المستقبل، وهذه الإخبارات الثلاثة هي:

1- الإخبار بهزيمة الروم للفرس في بضع سنين.

2- الإخبار بأن يوم هزيمة الفرس سيكون يوم فرح للمسلمين، وهذا اليوم وافق اليوم الذي انتصر فيه المسلمون في بدر كما سيأتي تحقيقه.

3- الإخبار بالمكان الذي سيهزمون فيه (أدنى الأرض) .

[1] الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**. حديث رقم (3192)، 5/ 343، وقال حسن غريب، و ابن حنبل، ،**مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، حديث رقم 2770، 304/1.وقال عنه الالباني صحيح، انظر الالباني، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الاسلامية، عمان، ط1 ، 1\232.

المطلب الثاني: الإخبار بهزيمة الروم على الفرس في بضع سنين

قال تعالى :(**الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ**){ **الروم:1-7**}

وجه الإعجاز في الآيات :

إن الإعجاز في هذه الآيات يكمن في إخبار الله عز وجل بأمر سيحصل بعد سنين، وهو هزيمة الروم للفرس، وقد وقع هذا الخبر كما أخبر الله عز وجل في المدة التي قررها، وهي بضع سنين والبضع في اللغة العدد ما بين الثلاث إلى العشر[1].

وتحديد الفترة أبلغ في الإعجاز وإقامة الحجة على المعاندين ، وقد سبق ما جاء بين أبي بكر رضي الله عنه وأُبَي بن خلف، وكيف أن النبي عليه السلام وجه أبا بكر في مسألة البضع، ثم إنّ الله عز وجل لم يحدد في الآيات موعد هزيمة الفرس باليوم والشهر والسنة، وفي ذلك إعطاء فسحة للمعاند للتكذيب فإذا وقع الخبر بهت الذي الكفر، كما حدث للمشركين.

وقد وقعت هزيمة الفرس في يوم بدر كما ثبت في الأحاديث والتاريخ كما سيأتي توثيقه، والمدة بين هزيمة الفرس ونصرهم هي تسع سنين، وتحقيق ذلك يكون عند العلم أن الفرس هزموا الروم ودمروا مدنهم واحتلوا القدس في العام السادس للبعثة الموافق سنة 614م، وهو الوقت الذي أنزلت فيه هذه الآيات، وكانت هزيمة الفرس في يوم بدر في العام الثاني للهجرة الموافق لسنة 623م، وسيأتي توثيقه في المطلب الثاني، أي أنَّ المدة بين الحدثين هي 9 سنوات، كما أخبر القرآن الكريم.

وجاء تفصيل ذلك في أطلس تاريخ الإسلام وفيه ما نصه:"وعندما تولى هرقل عرش الروم سنة610 م (وهي سنة البعثة المحمدية) ، كان الفرس قد اجتاحوا بلاد الشام ومصر وهزموا

[1] انظر، الزمخشري(ت:534هـ)، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، 473/3، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة،257/1. وابن منظور، **لسان العرب** 15/8.

البيزنطيين سنة613 م عند أنطاكية [1]، واستولوا على فلسطين والقدس سنة 614 م، وغزوا مصر ودخلوا الإسكندرية سنة 618 م أو 619 م، وبعد أن أقام هرقل دولته بدأ قتال الفرس سنة 622م، وفي سنة627 م أنزل بهم هزيمة قاصمة قرب نينوى ، واسترد منهم أراضي الدولة البيزنطية في أرمينيا والشام وفلسطين ومصر، وفي سنة630 م استعاد بيت المقدس"[2].

وهذا ما ذهب إليه عبد الكريم الخطيب "والثابت في هذا التاريخ، أنه في سنة 614 من الميلاد كانت تدور معركة بين الفرس والروم، وقد بدأت طلائع الهزيمة تنزل بالروم، فاستولى الفرس على أنطاكية، وهى من كبريات المدن الشرقية للدولة الرومانية، ثم استولوا بعد ذلك على دمشق، ثم على بيت المقدس ذاتها، وأشعلوا فيها النيران، وأحرقوا كنيسة القيامة... في عام 624 من الميلاد... لم يكد المسلمون يفرغون من المشركين في معركة بدر، ويأخذون طريقهم إلى المدينة، وفي قلوبهم فرحة النصر، وفي أيديهم ما وقع لهم من مغانم . حتى يلقاهم على طريق المدينة من يخبرهم بما انتهى إليه أمر القتال الذي كان دائرا بين الفرس والروم، وأن الروم قد هزموا الفرس، وأخرجوهم من بيت المقدس "[3].

واعتبر المفسرون هذا الوعد من الإعجاز الغيبي، قال أبو السعود: "وهذه الآيات من البينات الباهرة، الشاهدة بصحة النبوة، وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا الله العليم الخبير ، ووقع كما أخبر "[4] وقال البيضاوي: والآية من دلائل النبوة لأنها إخبار عن الغيب.."[5] ويضيف الشعرواي معلقا على هذا الحدث " فأروني أيّ قوة (كمبيوتر) في الدنيا تُنبئنا بنتيجة معركة ستحدث بعد ثلاث إلى تسع سنين، فمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو النبي الأمي المقيم في جزيرة العرب ولا يعرف شيئاً عن قوة الروم أو قوة الفرس – يخبرنا بهذه النتيجة؛

---

[1] أنطاكية من أرض دمشق مما يلي طريق البريّة ، بناها سارغورس النوصيدي، وكانت من أهم المدن الرومية، وفتحها ابو عبيدة بن الجراح في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، انظر، الواقدي، أبو عبد الله بن عمر ، **فتوح الشام** ، دار الجيل، بيروت ، 1\1،292\310. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، تحقيق : رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403، 1\137.

[2] مؤنس(1329هـ)، د. حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**،الزهراء للاعلام العربي، القاهرة، (ط1\ 1407/1987)، 48.

[3] الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، 481/11.بتصرف.

[4] أبو السعود، **تفسير أبي السعود**،7\49.

[5] البيضاوي(ت: 685هـ)،عبد الله بن عمر، **تفسير البيضاوي المسمى(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، دار الفكر، بيروت، 4\327.

لأن الذي يعلم الأشياء على وَفْق ما تكون هو الذي أخبره، وكون محمد صلى الله عليه وسلم يعلنها ويتحدَّى بها في قرآن يُتْلَى إلى يوم القيامة دليل على تصديقه بمنطق الله له، وأنه واثق من حدوث ما أخبر به ."[1]

ومما يزيد في بلاغة الإعجاز في هذه الآيات، هو ما كان من حال الروم بعد هزيمتهم من ضعف وانكسار وتشريد، وما كان عليه الفرس من قوة وسطوة وهيبة، ثم يأتي القرآن ويبشر بهزيمة الفرس وفي مدة وجيزة محدودة!

جاء في كتاب المؤرخ البريطاني (جيبون) تعليقا على نبوءة القرآن ما يلي:"في ذلك الوقت حين تنبأ القرآن بهذا لم تكن أية نبوءة أبعدَ منها وقوعا، لأن السنين الاثنتي عشرة الأولى من حكومة هِرَقل كانت تؤذِن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية"[2]، وهذا ما كانت عليه نفوس أهل مكة من المشركين من استبعاد شديد ساخر حين سمعوا القرآن الكريم يتوعد بنصر للروم في بضع سنين .

وذكر ابن عاشور فائدة قيمة أخرى حيث يقول "وفائدة ذكر من بعد غلبهم التنبيه على عظم تلك الهزيمة عليهم، وأنها بحيث لا يُظن نصر لهم بعدَها، فابتهج بذلك المشركون ، فالوعد بأنهم سيغلبون بعد ذلك الانهزام في أمد غير طويل تحد تحدَّى به القرآن المشركين، ودليل على أن الله قدر لهم الغلب على الفرس تقديراً خارقاً للعادة معجزة لنبيه (صلى الله عليه وسلم) وكرامة للمسلمين ."[3]

ولا يخفى كم كان ضعف الروم في تلك الحقبة ، وقوة وجبروت الفرس، حينما دمروا ممالكهم وقصورهم وسبوا ذراريهم، وهذا من الغيب المطلق [4] الذي لا يمكن أن يطلع عليه مخلوق، أو حتى يتكهن بوقوعه كاهن، ولا يوجد دافع لقول ذلك لبعدهعن الأمور المحسوسة والوقائع التي كانت كلها تشير لاستحالة هزيمة الفرس .

---

[1] الشعراوي (ت: 1418هـ)، محمد متولي بفسير الشعراوي،**تفسير الشعراوي الخواطر**، مطابع أخبار اليوم،11306

[2] إدوار جيبون (ت: 1794 م)، **تدهور الامبراطورية الرومانية وسقوطها** (The Decline and Fall of the Roman Empire)، WDR، 2007 ، 5/74.

[3] ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر،**التحرير والتنوير**، 44/21.

[4] " أمّا الغيب المطلق فهو الذي ليس له مقدمات تُوصِّل إليه، فهو غيب عن كل الناس " الشعراوي، **تفسير الشعراوي الخواطر**،113.

ومما يعزز وقوع هذا الإعجاز، إن علمنا كم كان للنبي صلى الله عليه وسلم أعداء من المنافقين أو المشركين في مكة والعرب أو اليهود وغيرهم، ولم يؤثر أنَّ أحداً منهم اعترض على هذه الآية، فلو لم يقع خبر هزيمة الفرس في تلك المدة ، لكانت دعوة الإسلام دفنت في مهدها، معاذ الله تعالى.

المطلب الثالث: الإخبار بأن يوم هزيمة الفرس سيكون يوم فرح للمؤمنين

قال تعالى:

(الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)){الروم:1-5}

أخبر تعالى أنَّ اليوم الذي سيَغلِبُ فيه الروم، سيكون يوما يفرح فيه المسلمون، فهل يقتصر ذلك الفرح على حال المؤمنين حين علموا بهزيمة الفرس لأنهم أهل وثن يتشاركون مع ألدَ أعدائهم من أهل مكة في وثنيتهم، وهل فرحهم لانتصار الروم كونهم أهل كتاب والمسلم ون أهل كتاب كذلك؟

في الحقيقة إنَّ هذا الأخبار بالفرح فيه إعجاز غيبي مركب، وقبل الاطّلاع عليه، يجب النظر في آراء المفسرين والعلماء حول هذا الفرح، واختلفوا فيه على أقوال:

1 - قيل يفرحون بنصر أهل الكتاب (الروم) على من ليسوا بأهل كتاب (الفرس)[1]
2 - وقيل هو إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم، وتحقق وعد الله تعالى[2]
3 - وقيل إنَّ سرورهم كان بسبب نصر المسلمين في معركة بدر، حيث توافق نصر المسلمين مع غلبة الروم في نفس اليوم.[3]

---

[1] انظر، السمعاني(ت489هـ)، أبالمظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ، **تفسير القرآن**، تحقيق :ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض،(ط1\1418هـ- 1997م)،197/4.

[2] انظر، السمعاني، **تفسير القرآن**، 197/4، والزمخشري، الكشاف،473/3، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 5/14.

[3] انظر، البغوي(ت:516هـ)، أبامحمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، **معالم التنزيل**، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت، 3/ 477، والرازي، التفسير الكبير، 85/25، والخالدي، صلاح عبد الفتاح، **وعود القرآن بالتمكين للاسلام**، دار القلم، دمشق،2007، 132.

يتبين بعد النظر في الآراء السابقة، أن لا مانع من أن يكون سبب فرحة المؤمنين الآراء السابقة بمجموعها، فلا تعارض بين الآراء والأحداث، ففرحهم بسبب غلبة الروم وهم أهل كتاب ودينهم أقرب إلى الصواب من الفرس الذين دينهم وثني وأقرب إلى ديانة ألدُّ خصومهم من مشركي مكة، وقد مر ما حصل للمشركين من سرور حين انتصر الفرس، ثم إنَّ هزيمة الفرس فيها إيذان بهزيمة قريش كما أشار إلى هذا الماوردي[1]، فكما هَزم أهل الكتاب من النصارى الوثن سيَهزم أهل الكتاب من المسلمين أهل الأوثان .

وفرحهم بسبب تحقق وعد الله تعالى، فيه من التسرية والتثبيت لأهل الإيمان ما فيه، وأن فرحهم إنما كان لإنجاز وعد الله تعالى ، إذ كان فيه دليل على النبوة لأنه أخبر تبارك وتعالى بما يكون في بضع سنين فكان فيه، وقد صح أنه أسلم عند ذلك ناس كثير.[2]

ولكن حين النظر في الرأي الثالث القائل ب أن سبب سرورهم هو انتصار المسلمين في معركة بدر، ووافق ذلك اليوم الذي غَلبت فيه الروم، ومدى موافقته تاريخيا، وما حوته الآيات من لطائف ولفتات حول ذلك النصر يتبين لنا الإعجاز الغيبي بأبهى وأجلى صوره، فتاريخيا ثبت أنَّ اليوم الذي غلبت فيه الروم صادف ذلك يوم بدر، وقد تتالت الأدلة على ذلك ومنها:

ما ورد في الحديث الذي رواه الترمذي من حديث الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال:" كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين وفرحوا به، وأنزل الله: { وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } " .[3]

وأخرج ابن جرير والبيهقي في الدلائل من طريق عطية العوفي عن ابن عباس في قوله { الم غلبت الروم } قال :" قد مضى . كان ذلك في أهل فارس والروم، وكانت فارس قد غلبتهم، ثم

---

[1] انظر، الماوردي، (ت:450هـ) أبـا الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، **النكت والعيون**، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم،دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، 4 /299.

[2]انظر، النحاس(ت:338هـ)، أبـاجعفر احمد بن محمد بن إسماعيل ، **معاني القرآن الكريم**، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى – مكة المكرمة،(ط1\1409هـ)، (245/5).

[3] أخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، باب ومن سورة الروم، وقال حديث حسن غريب، **وقال الشيخ الألباني : صحيح حديث** رقم 3192، 5/ 343، والطبري(ت:310)، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، دار الفكر ، بيروت ،(1405هـ) 21 /20–21، والواحدي(ت:468هـ)، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية ، **أسباب النزول**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (ط1\ 1411 – 1991) ،232/1.

غلبت الروم بعد ذلك، والتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مشركي العرب، والتقى الروم مع فارس، فنصر الله النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين على مشركي العرب، ونصر أهل الكتاب على العجم . قال عطية : وسألت أبا سعيد الخدري عن ذلك فقال : التقينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا على مشركي العرب، ونصر أهل الكتاب على المجوس، ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين، وفرحنا بنصر أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله { ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله } "[1].

وجاءت هذه الفرحة موقوتة بالوقت الذي نطقت به الآيات في قوله تعالى : (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) أي أن يوم غلبة الروم للفرس، سيكون في هذا اليوم الذي ينتصر فيه المسلمون على المشركين، وتمتلئ قلوبهم فرحة بهذا النصر العظيم .. فالنصر الذي يفرح به المؤمنون حقّا، هو نصرهم على المشركين من أهل مكة، الذين سخروا منهم، وصبّوا عليهم ألوان البلاء، وأخرجوهم من ديارهم .. وهذا هو نصر اللّه الذي وعدهم به، ووقّت له غلبة الروم للفرس! وهذا هو السرّ[2] .

وهذه بعض الحقائق التي حوتها الآيات لم يكن المراد من عرضها إثبات أنَّ نصر المسلمين في بدر كان في يوم غلبة الروم، ولكن ليتبين مدى ما حوته هذه الآيات القصار من لمحات تتعلق بالإعجاز الغيبي، وذلك في قوله تعالى (بنصر الله) ولم يأت بلفظ يفيد الغلبة، كما أخبر تعالى في مقدمة السورة، وذلك لأن النصر لا يكون إلا للمؤمنين والغلبة لفظ مشترك لهم ولغيرهم .

يقول الدكتور الخالدي ما نصه : " لا تسمى غلبة الروم على الفرس نصراً من الله، لأن نصر الله كرامة وتشريف منه، ولا يكون هذا النصر إلا لعباد الله المؤمنين الصالحين، والروم ليسوا عباداً مؤمنين صالحين! صحيح أنهم نصارى أهل كتاب، وأنهم أقرب للمسلمين من الفرس عبدة النار، لكنهم ليسوا مؤمنين، ولذلك أخبرت الآيات عن كسبهم المعركة بلفظ الغلبة: (وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ). وفرق بين الغلبة والنصر، لأن للنصر ظلال التكريم والتشريف

---

[1] البيهقي،(ت:458هـ) أبو بكر أحمد بن حسين، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث،(1408 – 1988)، باب ما جاء في آية الروم وما ظهر فيها من الآيات في أدنى الأرض ،332، 2\332.

[2]انظر، الخطيب، **التفسير القرآني للقران**،481/11.

من الله، وهذا خاص بالمؤمنين الصالحين وهو يتفق مع قوله تعالى في غزوة بدر: (**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** [آل عمران: 123].!"[1]

كما أنَّ الآيات تحدثت عن نصر عظيم مهيب، تطير قلوب المؤمنين فرحا به، ومجيء الوعد في بداية السورة يدل على أنه كان فرحا لنصر أعظم من مجرد فرح المؤمنين بغلبة الروم على فارس، وكلاهما كافر ومعادٍ للإسلام وأهله.

حتى إنَّ بعض المفسرين استبعد أن يكون فرحهم لغلبة الروم، وإنما لما حدث من اقتتال لقوى الباطل، جاء في تفسير روح البيان " يفرح المؤمنون بقتل الكفار بعضهم بعضاً لما فيه من كسر شوكتهم، وتقليل عددهم لا بظهور الكفار كما يفرح بقتل الظالمين بعضهم بعضاً."[2]

ثم إنَّ الآية ختمت باسمين لله تعالى العزيز والرحيم، قال تعالى (**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)**، والرحمة خاصة بالمؤمنين و" لأن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الأخروية"[3]

ويمكن الجمع بين كل الآراء في كلمة جامعة، وهي أنَّ سرور المؤمنين كان بتحقق وعد الله تعالى بغلبة الروم على فارس، وفرحهم بنصر الله في بدر، جاء في نظم الدرر كلام بديع يقول البقاعي عقب كلامه عن معجزة هزيمة الفرس وتحققها : "ولما أخبر بهذه المعجزة، تلاها بمعجزة أخرى، وهو أن أهل الإسلام لا يكون لهم ما يهمهم فيسرون بنصره فقال : (يومئذ) أي إذ تغلب الروم على فارس (يفرح المؤمنون) أي العريقون في هذا الوصف من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم (بنصر الله)، أي الذي لا رادّ لأمره، لأهل الكتاب عامة، نصرهم على المشركين في غزوة بدر، وهو المقصود بالذات، ونصر الروم على فارس لتصديق موعود الله ونصر من سيصير من أهل الكتاب الخاتم من مشركي العرب على الفرس في وقعة ذي قار، فقد وقع الفرح بالنصر الذي ينبغي إضافته إلى الله تعالى وهو نصر أهل الدين الصحيح أصلاً وحالاً ومآلاً، وسوق الكلام على هذا الوجه الذي يحتمل الثلاثة من بدائع الإعجاز" [4]

---

[1] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **وعود القرآن بالتمكين للاسلام**، دار القلم، دمشق،2007، 132.

[2] الخلوتي، (ت:1137هـ) إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي الإستانبولي الحنفي، **تفسير روح البيان** ، دار النشر، دار إحياء التراث العربى 3/7.وانظر الماوردي، النكت والعيون، 245/5.

[3] الالوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، 329/15.

[4] البقاعي(ت: 885هـ)، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ- 1995م) ، 595/5-596.

المطلب الرابع: الإخبار بالمكان الذي سيهزمون فيه (أدنى الأرض) .

قال تعالى (**غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**)

يظهر بعد الرجوع إلى آراء المفسرين والمؤرخين قديما، أنهم يختلفون في تحديد الموقع الذي وقعت فيه المعركة على النحو الأتي :

1 –فمنهم من قال : إنها كانت بين أذرعات وبصرى [1] قاله عكرمة، وأولوا ذلك أنها أدنى الأرض بالقياس إلى مكة . [2]

2 – ومنهم من قال : إنها بالجزيرة[3]، وأولوا ذلك أنها أدنى بالقياس إلى أرض كسرى.[4]

3 – ومنهم من قال: إنها في الأردن وفلسطين قاله ابن عباس ومجاهد والسدي، وأولوا ذلك أنها أدنى بالقياس إلى أرض الروم. [5]

---

[1] أذرعات، هي طرف بلاد الشام مما يلي الحجاز ، وهي معروفة ألان بمدينة درعا السورية ، وكانت تسمى اذرعات نسبة لسوقها الشهير، وما زال أهل تلك المنطقة يسمونها ذرعات، وبصرى مدينة تابعة الآن لمحافظة درعا من الجهة الجنوبية انظر، **ياقوت الحموي(ت:626هـ)، ياقوت بن عبد الله أبا عبد الله الحموي،معجم البلدان،، دار الفكر، بيروت، 130/1. علي، د. جواد ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام دار الساقي، (ط4\ 1422 -هـ 2001م) ، 59/5.**

[2]انظر، الطبري، تفسير الطبري،74/20، والواحدي، علي بن أحمد أبو الحسن، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق ، بيروت ،(ط 1\ 1415هـ)،838/2. ابن الأثير(ت: 630هـ)، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، **الكامل في التاريخ**، تحقيق : عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت،(ط2\ 1415هـ)، 371/1. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 427/3.

[3] هي **الجزيرة الفراتية وتسمى** اختصارا **الجزيرة** إقليم يمتد عبر شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق وجنوب شرق تركيا، وهي الجزء الشمالي من وادي الرافدين، انظر، السمعاني، تفسير السمعاني، 195/4، والقاضي ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم بن حبيب، **كتاب الخراج**، تحقيق : محمد ابراهيم البنا، دار الاصلاح،(1398 هـ/1978م)، ص 201.ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 329\2.

[4] انظر، الصنعاني(ت: 211هـ)، عبد الرزاق ابن همام، تفسير القرآن، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد،الرياض،(ط1\ 1410هـ)، 101/3.،والسمعاني، تفسير القرآن 195/4، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 303/3.

[5] انظر، السمرقندي(ت: 373هـ)، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، تحقيق : د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، 3/3، الزمخشري، الكشاف، 3 /471، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، دار الفكر، بيروت، 2 /214. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، 49/7.

وجاءت التأويلات الثلاثة بهذا التصور ، باعتبار أنَّ (أدنى) معناها اقرب وهي إحدى معاني الدنو في اللغة ، وفي قوله تعالى " (أتستبدلون الذي هو أدنى) ... أي أقرب، ومعنى أقرب أقل قيمة كما يقال ثوب مقارب"[1]، وجاء في مختار الصحاح "دانى بين الأمرين قارب وبينهما دناوة أي قرابة أو قرب" [2] .

وبعد التحقيق في هذه المسألة تبين أنَّ مكان المعركة كان في فلسطين، وتحديدا في منطقة البحر الميت للأسباب آلاتية :

1-ما ثبت تاريخيا أنَّ الفرس والروم قد التقوا في أكثر من معركة، وأنَّ المعركة الفاصلة بينهم التي هدمت أركان الروم، ودخل بعدها الفرس بيت المقدس كانت في حوض البحر الميت، وهذا ثابت في كتب التاريخ ومصادر التفسير وهو الرأي الذي قال به ابن عباس الذي سبق توثيقه، وحدد ابن عباس أيضاً أنَّ المعركة كانت بين الأردن وفلسطين وهي المعروفة الآن بالأغوار التي يقع فيها البحر الميت.

2- ويدعم هذا الرأي ما تحتمله كلمة أدنى من معانٍ، حيث إنَّ أحد معانيها الأخفض والأسفل [3]، جاء في لسان العرب: لدون تسعة معان: تكون بمعنى قبل، وبمعنى أمام، وبمعنى وراء، وبمعنى تحت، وبمعنى فوق، وبمعنى الساقط من الناس، وغيرهم وبمعنى الشريف، وبمعنى الأمر، وبمعنى الوعيد، وبمعنى الإغراء ...وهي بمعنى تحت كقولك : دون قدمك خد عدوك أي تحت قدمك[4] وقال أيضا " "والأدنى: السَّفِلَ"[5] وجاء في معجم مقاييس اللغة " الدال والنون أصلٌ واحد يدلّ على تطامُنٍ تطامُنٍ وانخفاض. فالأدَنُّ: الرجل المنحنِي الظَّهر. يقال منه قد دَنِنْتَ دَنَناً. ويقال بيتٌ أدنّ... ومن ذلك الدَّنْدَنَة، وهو أنْ تُسمَع من الرَّجل نَغْيَةٌ لا تُفْهَم، وذلك لأنّه يخفِض صوتَه بما يقوله ويُخفيه. ومنه الحديث:(فأمَّا دَنْدَنَتُكَ ودندنةُ مُعاذٍ فلا نُحْسِنُهُمَا[6])[7] .

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، 166/13.بتصرف.

[2] الرازي، مختار الصحاح، 89/1. وانظر الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية 230/1.

[3] يستفاد من هذا المعنى ما عليه البحر الميت إذ هو أخفض منطقة على الكرة الأرضية كما سيأتي.

[4] انظر، ابن منظور، **لسان العرب**، 165/13. بتصرف.

[5] ابن منظور، **لسان العرب**، 14 /271.

[6] الحديث أخرجه أبو داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، **سنن أبي داود** ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر ، كتاب الصلاة، في باب في تخفيف الصلاة، حديث رقم 793، 211/1. وقال الالباني إسناده صحيح،انظر،الالباني،صحيح ابي داود،3\377، وأخرجه احمد في مسنده حديث رقم 15939، 474/3.

[7] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، 261/2.

والذي يؤيد هذا الرأي قراءة شاذة قرأ بها أبي بن كعب والضحاك وغيرهم (في أداني الأرض) [1]، وأداني الشيء أخافضه، والشاذ من القراءات يستفاد منها في التفسير.

ومن ذلك قول ابن قيم الجوزية في نونيته المشهورة:

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فإن تفعل رجعت بذلة وهوان

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتحـ ـرم ذا وذا يا ذلة الحرمانِ[2]

فالأدنى في هذا السياق جاءت بمعنى الأخفض؛ لأنها تقابل الأعلى.

فكما ورد هذا المعنى في معاجم اللغة فقد استخدمه العرب في أشعارهم وأمثالهم، وهذا المعنى هو الأرجح وهو الأنسب للسياق والوقائع التاريخية والجغرافية، و في هذا العصر نستخدم أدنى بمعنى أسفل فنقول : أدنى الصفحة أي أسفلها، وحتى إن استعمل المعنى الأول للأدنى (اقرب) فإن بلاد فلسطين هي أقرب الأراضي التي كان الروم يحتلونها.

ولا يصح الاعتراض القائل بأن هذا المعنى لا يصح، لمجرد أنَّ المفسرين لم يذكروه في كتبهم، فالمرجع في هذا المقام هي اللغة، ويرد على هذا الاعتراض بأن اللغة كما سبق تحتمل هذا المعنى والمفسرون معذورون بتفسيرهم هذا، لأنهم كانوا يفسرون القرآن الكريم في زمانهم وبحسب ما كان متوفراً لهم من أدلة وحقائق علمية محدودة.

وهذه كلمة حق قالها موريس بوكاي: " إنهم دائماً يعترضون على الإعجاز العلمي للقرآن، لأنه يخاطبهم بلغة قوية هي لغة العلم، ولذلك فإنهم يلجؤون إلى الكتب القديمة حيث كان متعذراً وقتها فهم هذه الآيات كما نفهمها في ضوء المعارف الحديثة. ونقول لهم: لماذا تلزموننا بفهم القرآن كما فهمه المفسرون قبل مئات السنين، ولا تلزمون أنفسكم بفهم الكتاب المقدس كما فهمه القسيسون قبل عشرات السنين فقط عندما حددوا عمر الكون بسبعة آلاف سنة ثم ثبُت يقيناً أن عمره بلايين السنوات!! "[3]

---

[1] انظر، ابن خالويه(ت: 370هـ)، أبا عبد الله الحسين بن أحمد، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع** ، مكتبة المتنبي،القاهرة، 117، الزمخشري، الكشاف، 471/3. أبالسعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، 7/ 49.

[2] ابن قيم الجوزية (ت : 751هـ)محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **متن القصيدة النونية**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ،(ط2\ 1417هـ)، ،326/1.

[3] موريس بوكاي، **القرآن الكريم والتوراة والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**،مكتبة مدبولي،القاهرة،48.

وما أثبته العلم الحديث من أن منطقة البحر الميت هي أخفض نقطة في الكرة الأرضية، حيث يصل مستوى منسوب سطحه إلى حوالي أربعمائة متر تحت مستوى سطح البحر، ويصل منسوب قاعه في أعمق أجزائه إلى قرابة الثمانمائة متر تحت مستوى سطح البحر[1]

وفي هذا يتجلى وجه الإعجاز، حيث أخبر الله تعالى بالمكان الذي هزم فيه الروم، ويعد هذا جزء من الإعجاز الغيبي الذي يتعلق بالحاضر، فهو موجود ولكن غائب عن علم البشر، وقد ثبت ذلك في هذا العصر، فتحديد المكان بهذه الدقة لا يمكن أن يخبر به إلا من خلق الأرض وما عليها .

---

[1] جاء في الموسوعة البريطانية تحت عنوان البحر الميت : ... ويقع تحت 1300 قدم (400) متر من سطح الأرض ، أقل المناطق انخفاضاً عن سطح البحر في العالم، وأكدت ذلك وزارة السياحة والآثار –فلسطين على موقعها الالكتروني في صفحة اريحا ومعالمها،http://tourism.ps/.

المبحث الثاني

عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من القتل

قال تعالى **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67))** {المائدة:67}

نزلت هذه الآيات في المدينة المنورة، بل هي من أواخر ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي خطاب من الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومعناها بلغ يا محمد رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك من صناديد قريش واليهود وغيرهم ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك.[1]

وفي هذه الآية لفتة غيبية إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يموت قبل أن يكمل رسالته، وفي هذا يقول الشعراوي رحمه الله :" فكأن الحق يقول لرسوله : اطمئن يا محمد؛ لأن من أرسلك هداية للناس لن يخلي بينك وبين الناس ، ولن يجرؤ أحد أن ينهي حياتك، ولكني سأمكنك من الحياة إلى أن تكمل رسالتك، وإياك أن يدخل في رُوعك أن الناس يقدرون عليك"[2] .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوكل من يحرسه، وكان من الصحابة من يتطوع لحراسته، وجاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : " كان النبي صلى الله عليه وسلم سَهِرَ فلما قَدِمَ الْمَدِينَةَ قال لَيْتَ رَجُلًا من أَصْحَابِي صَالِحًا يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ إِذْ سَمِعْنَا صَوْتَ سِلَاحٍ فقال من هذا فقال: أنا سَعْدُ بن أبي وَقَّاصٍ جِئْتُ لِأَحْرُسَكَ، قالت عَائِشَةُ فَنَامَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غَطِيطَهُ."[3]

وما زال هذا شأن النبي صلى الله عليه وسلم، يحرسه الصحابة حتى نزلت هذه الآية، لحديث عائشة رضي الله عنها أيضا قالت: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحْرَس حتى نزلت

---

[1] انظر، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 2\79.

[2] الشعراوي، تفسير الشعراوي(الخواطر)، 3289/6 .

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، بَاب الْحِرَاسَةِ في الْغَزْوِ في سَبِيلِ اللَّهِ، 3،1057/2729، مسلم، صحيح مسلم، بَاب في فَضْلِ سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، 4،1875/2410، واللفظ له.

هذه الآية: { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } قالت: فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبَّة، وقال: "يأيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل".[1]

وجاءت الأحداث متممة لهذا الوعد الإلهي، وتطابَق الواقع مع القرآن الكريم، فبعد أن وعد الله تعالى نبيه بحمايته من أذى وكيد الأعداء، لم يعد يحرسه أحد وكانت هناك محاولات متكررة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الله حماه وعصمه، وهنا يظهر وجه الإعجاز الغيبي في هذه الآيات، ومن هذه المحاولات :

1-محاولة قتله صلى الله عليه وسلم بالسم : روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال " أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ منها فَجِيءَ بها إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَهَا عن ذلك فقالت أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ قال ما كان الله لِيُسَلِّطَكِ على"[2].

2-محاولة اغتياله من قبل غورث بن الحارث وحماية الله تعالى له، جاء في مسند الإمام أحمد وغيره عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ قال : " قَاتَلَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُحَارِبَ خَصَفَةَ بِنَخْلٍ[3]، فَرَأَوْا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِرَّةً فَجَاءَ رَجُلٌ منهم يُقَالُ له غَوْرَثُ بن الحارث، حتى قام على رَأْسِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالسَّيْفِ فقال من يَمْنَعُكَ مني قال الله عز وجل، فَسَقَطَ السَّيْفُ من يَدِهِ فَأَخَذَهُ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فقال : من يَمْنَعُكَ مني، قال: كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ قال أَتَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله قال لاَ ولكني أُعَاهِدُكَ أَنْ لاَ أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مع قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ،فَخَلَّى سَبِيلَهُ قال فَذَهَبَ إلى أَصْحَابِهِ قال قد جِئْتُكُمْ من عِنْدِ خَيْرِ الناس "[4].

---

[1] أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ، 3046، 251/5، قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، والبيهقي، سنن البيهقي الكبرى، باب مبتدأ الفرض على النبي صلى الله عليه وسلم، 17508، 8/9، وأخرجه الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي** ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت(ط1\ 1411 – 1990)، تفسير سورة المائدة 2،342/3221، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.وصححه الالباني، انظر، **السلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف، الرياض،5\644.

[2] مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب السم، 2190، 1721/4، وابو داوود، سنن ابي داوود، بَاب فِيمَنْ سَقَى رَجُلًا سَمًّا أو أَطْعَمَهُ فَمَاتَ أَيُقَادُ منه، 4508، 173/4.

[3] خصفة هنا هو اسم قبيلة من محارب.انظر، ابن منظور، لسان العرب، 9\73.

[4] أحمد في مسنده، 14971، 364/3، ورواه بلفظ آخر في الصفحة نفسها، وأخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ذكر النوع السادس من صلاة الخوف، 2883، 138/7، وأخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب المغازي والسرايا، 4322، 31/3.وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه في تاريخ الإسلام وقال، وهذا حديث صحيح إن شاء الله، الذهبي، ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت،(ط1\ 1407هـ – 1987م).

ومع هذه المحاولات فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أول من يتقدم الصفوف، وأشجع من يقاتل قال علي رضي الله عنه :" كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَومُ الْقَوم، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ"[1].

ويوم حنين حين تولى معظم الجيش هاربا قَالَ الْبَرَاءُ بن عازب: " أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُوَلِّ يَوْمَئِذٍ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذًا بِعِنَانِ بَغْلَتِهِ ، فَلَمَّا غَشِيَهُ الْمُشْرِكُونَ نَزَلَ فَجَعَلَ يَقُولُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، قَالَ: فَمَا رُئِيَ مِنْ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ أَشَدُّ مِنْهُ"[2] .

فعلى الرغم من هذه المخاطر التي عايشها النبي صلى الله عليه وسلم، من شجاعة وإقدام في معارك قد توالت، ومن مخاطر كيد خصومه الذين توقد فيهم الثأر والحقد، إلا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كتب له أن لا يموت إلا على فراشه بقضاء الله وقدره ، لا بتسليط أحد عليه، تحقيقا للعصمة التي حباه الله تعالى إياها ووعده بها.

وهذا ما نحى بباحثة بلجيكية إلى اعتناق الإسلام، وكانت من قبل إسلامها معتكفة على دراسة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، حتى وصلت هذه النقطة، فتوقفت عندها وقالت: لو كان هذا الرجل يخدع جميع الناس ما خدع نفسه في حياته، ولو لم يكن واثق اً بأن الله تعالى سيحرسه لما فعل ذلك كتجربة واقعية تدل على ثقته بخالقه، ولذلك أنا أقول : (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله)[3]

وهناك تساؤل يدور حول كيف تحققت عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أوذي وشج رأسه وكسرت رباعيته وتعرض للسم؟

إنَّ الجواب على هذا السؤال يكون بتحقيق المراد من العصمة في هذه الآية، فيحتمل المعنى أي يعصمك من القتل فلا يصلون إلى قتلك ، أو يكون معنى العصمة، هي حماية النبي صلى الله عليه وسلم من كل أذى سواءاً من القتل أو غيره، وعلى هذا تكون هذه الأحدا ث وقعت قبل نزول الآية ، وقبل وعد الله تعالى له بالعصمة لأن سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن الكريم.[4]

---

[1] أحمد في مسنده، 1042 ،2\307. والحاكم، المستدرك على الصحيحين، 2633، 2\155، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.وقال عنه الذهبي صحيح.صححه الالباني، مشكاة المصابيح، 3\281.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، بَاب مَنْ رَأَى الْعَدُوَّ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا صَبَاحَاهْ حَتَّى يُسْمِعَ النَّاسَ رقم، 3042 ، 4\67، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم، 1775، 3\1400، نحوه.

[3]انظر، الشعراوي، **تفسير الشعراوي(الخواطر)**، 3290/6 .

[4] انظر، البغوي، **معالم التنزيل**، 2\52، والالوسي، روح المعاني، 198/6.

المبحث الثالث

الإخبار بموت أبي لهب[1] كافراً

يقول تعالى:(**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)**) {سورة المسد} .

هذه السورة مكية بإجماع نزلت في السنة الرابعة من البعثة [2] .

وسبب نزول هذه السورة كما جاء في الحدي ث الذي يرويه البخاري من طريق ابن عمر قال:"إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء، فصعد الجبل فنادى: يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتم إن حَدثتكم أن العدوّ مُصبحكم أو مُمْسيكم، أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم. قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد،فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبا لك. فأنزل الله: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } إلى آخرها "[3] .

ومعنى (تَبّتْ يدا أبي لهبٍ وتبّ) أي خسر أب و لهب ، وأما قوله:(وَتَبَّ) فإنه خبر والتبّ هو الخسران، أو دعاء عليه بالهلاك [4] .

وقوله تعالى:{ ما أغنى عنه ماله وما كسب } أي ما دفع عنه عذاب الله ما جمع من المال ولا ما كسب من جاه ومن الولد، ولن يغنيَ عنه يومَ القيامة .[5]

وزوجته[6] نعتها القرآن بحمالة الحطب،" لأنها تحمل الحطب فتلقي على زوجها، ليزداد على على ما هو فيه، وهي مُهَيَّأة لذلك مستعدة له."[7] أو لأنها كانت تضع الشوك في طريق النبي صلى

---

1 أبو لهب هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه: عبد العُزّى بن عبد المطلب، وكنيته أبو عُتبة. وإنما سمي "أبي لهب" لجماله، وكان كثير الأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له، والازدراء به، والتنقص له ولدينه. انظر، ابن حبان(ت:354هـ)، أبا حاتم محمد بن بن أحمد التميمي البستي، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق: سعد الفقي، دار ابن خلدون، الاسكندرية،1\39.ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 4\465.

2 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 20\243، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، 4\464.ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، 30\599.

3 البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير ، بَاب قَوْلُهُ { وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ }، 4972، 6\180.

4 انظر، الطبري، **تفسير الطبري**، 30\336، والألوسي، روح المعاني، 30\261.

5 انظر، الطبري، **تفسير الطبري** ، 30\338، والزمخشري، الكشاف، 4\820، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن،20\238 .

6 هي: أم جميل، واسمها أروى بنتُ حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان. وكانت عونًا لزوجها على كفره وجحوده وعناده. انظر، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 4\565.ابن كثير، البداية والنهاية، 3\41.

7 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 4\565.

صلى الله عليه وسلم [1]، ويحتمل المعنى "أنها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار... كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه ."[2]

وهذه الآيات نزلت وهي على قيد الحياة، وفيها بلاغ لها أنها ستموت على الكفر وأنها ستدخل نار جهنم كزوجها.

وجه الإعجاز الغيبي في سورة المسد

في هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى:{ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ } "فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما لا ظاهرًا ولا باطنًا، لا مسرًا ولا معلنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوة الظاهرة ".[3]

ولو أنّ أبا لهب أسلم ولو نفاقا لأدى ذلك إلى نسف الإسلام ، والتشكيك بمصداقية النبي عليه السلام، خاصة في قلوب ضعاف الإيمان وكان الإسلام في بدايته، ولو كان أبو لهب يملك الذكاء لفعل هذا بدلاً من حربه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن قضاء قضاء الله تعالى أقوى من احتمال امتلاكه الذكاء فلم يفعل.

وقد هلك أبو لهب بالعَدَسَة [4] بعد وقعة بدر لسبع ليال وهو كافر، فاجتنبه أهله مخافة العدوى، وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتى أنتن، فلما خافوا العار استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه [5]، فتحقق وعد الله تعالى بموت أبي لهب كافراً مستحقاً للنار.

---

1 انظر، الطبري، **تفسير الطبري**، 30\338، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 20\238.

2 الزمخشري، الكشاف، 4\822. بتصرف.

3 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 4\566.

4 مرض معدي عبارة عن بثرة تخرج في البدن كالطاعون وقلما يسلم صاحبها، انظر،إبراهيم مصطفى، وآخرين، **المعجم الوسيط**، تحقيق : مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط2، 587/2.

5انظر، الحلبي (ت:1044هـ)، علي بن برهان الدين، **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**، دار المعرفة بيروت، 1400 هـ، 445/2.

المبحث الرابع

بشرى دخول الحرم

قال تعالى:

(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27)) {الفتح:27}

دراسة وتحليل لوجه الإعجاز الغيبي في الآية

احتوت هذه الآية الكريمة على إخبارين غيبيين، وهما إخبار الله تعالى للمسلمين بأنهم سيدخلون المسجد الحرام على الحالة المذكورة، والثاني وعد المسلمين بفتحٍ سيكون موعده قريباً.

الوعد الأول : إخبار الله تعالى المسلمين بأنهم سيدخلون المسجد الحرام

هذه الآية الكريمة أنزلت قبل دخول المسلمين مكة وأداء العمرة بنحو العام، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُرِىَ في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت ، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر [1] هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا في العام القادم، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء.[2]

ولذلك سأل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في ذلك، فقال له فيما قال: " يا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا على الْحَقِّ وَهُمْ على الْبَاطِلِ فقال : بَلَى فقال: أَلَيْسَ قَتْلَانَا في الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ في النَّارِ ، قال: بَلَى، قال: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا، أَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ الله بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فقال: يا بن الْخَطَّابِ إني رسول اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي الله أَبَدًا فَانْطَلَقَ عُمَرُ إلى أبي بَكْرٍ فقال له مِثْلَ ما قال لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: إنه رسول اللَّهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ الله أَبَدًا فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ فَقَرَأَهَا رسول اللَّهِ صلى الله

---

[1] أي يتحقق وقوعها.

[2] انظر، ابن عطية، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 139/5، والثعلبي(ت:427هـ)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، **الكشف والبيان**، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (ط 1\ 1422 هـ -2002 م)، 60/9.

عليه وسلم على عُمَرَ إلى آخِرِهَا فقال عُمَرُ يا رَسُولَ اللَّهِ أو فتح هو قال نعم" [1] فهذا الحديث بين سبب وموعد نزول السورة، أي قبل انصراف المسلمين من الحديبية في السنة السادسة للهجرة. [2]

ووقع في رواية أخرى أنَّ عمر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : "أو ليس كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ ؟ قال بَلَى فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ قال قلت لَا قال فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ "[3]

ومما يزيد في بلاغة الإعجاز الغيبي في هذه الآية، أنَّ دخول الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة كان أمراً مستبعداً، خاصةً بعد موقف أهل مكة وصدهم المسلمين عن البيت الحرام، واستبعد المنافقون ذلك وطعنوا في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهذا عبد الله بن أُبَي بن سلول يقول :"والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام "[4] .

ثم أتم الله عز وجل وعده، وكان ذلك في السنة التالية لصلح الحديبية وذلك في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع [5]، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهم ا قال:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَحَرَ هَدْيَهُ وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَقَاضَاهُمْ على أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ ولا يَحْمِلَ سِلَاحًا عليهم إلا سُيُوفًا ولا يُقِيمَ بها إلا ما أَحَبُّوا فَاعْتَمَرَ من الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَدَخَلَهَا كما كان صَالَحَهُمْ فلما أَقَامَ بها ثَلَاثًا أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ فَخَرَجَ"[6].

وفي تأخير دخولهم إلى مكة حكم استأثر الله تعالى بها، قال تعالى: (فعلم ما لم تعلموا)، فمنها ما ذكره الطبري في هذه الآية : " وذلك علمه تعالى ذكره بما بمكة من الرجال والنساء

---

[1] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشروط، بَاب الشُّرُوطِ في الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مع أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، 2581، 978/2.

[2] انظر، البغوي، **معالم التنزيل**، 205/4. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 202\4.

[3] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الخمس، بَاب إِثْمِ من عَاهَدَ ثُمَّ غَدَرَ وقوله (الَّذِينَ عَاهَدْتَ منهم ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ في كل مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ)، 3011 ، 1162/3.

[4] البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، 208/5.الالوسي، روح المعاني، 120/26.

[5] أبو حيان، **تفسير البحر المحيط، 100/8.**

[6] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلح، بَاب الصُّلْحِ مع الْمُشْرِكِين، 2554، 961/2.

المؤمنين الذين لم يعلمهم المؤمنون، ولو دخلوها في ذلك العام لوطئوهم بالخيل والرجل فأصابتهم منهم معرة بغير علم فردهم الله عن مكة من أجل ذلك " [1].

وفائدة أخرى أضافها القرطبي حين يقول : " أي علم ما في تأخير الدخول من الخير والصلاح ما لم تعلموه أنتم ، وذلك أنه عليه السلام لما رجع مضى منها إلى خيبر فافتتحها ورجع بأموال خيبر ، وأخذ من العدة والقوة أضعاف ما كان فيه في ذلك العام، وأقبل إلى مكة على أهبة وقوة وعدة بأضعاف ذلك" [2]

ويظهر الإعجاز الغيبي واضحا جليا، فقد دخل المسلمون بعد عام واحد فقط إلى مكة وأدوا نسكهم، ودخلوا البيت الحرام على الحالة التي ذكرها القرآن قبل سنة، فحين النظر في وصف الله تعالى لكيفية دخول المسلمين الحرم، ثم مقارنة ذلك بالحالة التي كانوا عليها بعد سنة حينما أدوا العمرة، يتبين ما في هذا القرآن العظيم من إعجاز غيبي، وذلك في وصف الحالات الثلاث، **فقوله تعالى (آمنين)** تحقق بتمامه كما يلي:

إنَّ الأمن في دخول المسلمين ما كان ليتحقق في العام السادس، إذ لم يكن بينهم وبين أهل مكة عهود، وتحقق لهم الأمن في العام السابع حينما دخلوا معتمرين، وكان بينهم وبين أهل مكة عهدٌ وهو ما كتبوه في صلح الحديبية .[3] ليتحقق وعد الله تعالى بتمامه .

ثم إنَّ تأخير الدخول إلى الحرم زاد قوة المسلمين في المدينة وحقن دماءهم في مكة، فأدى ذلك إلى تحقيق وعد الله في الهيئة التي ذكرها تعالى (آمنين)، فدخلوا مكة في العام التالي وحين رآهم أهل مكة على هذه الحالة خافوهم ودخلت هيبة المسلمين في نفوسهم، فكان المسلمون آمنين سواء من كان منهم في المدينة أو من أخفى إيمانه من مسلمي مكة، ومن كان في غير مأمن هم أعداؤهم من الكفار، ولو دخلوا مكة في العام السادس لما دخلوها آمنين، فقد كانت أعدادهم قليلة ولم تكن هيبتهم كتلك الهيبة بعد فتح خيبر، وإنما ازدادت أعداد المسلمين بعد صلح الحديبية.

---

[1] الطبري، **تفسير الطبري**، 107/26.

[2] القرطبي، **تفسير القرطبي**، 291/16.

[3] انظر، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 200/26.

وقوله تعالى (محلقين رؤوسكم ومقصرين): فقد دخل بعضهم محلقا رأسه وبعضهم مقصرا، كما يدل على ذلك الحديث الصحيح الآتي:" عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :"اللهم اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قالوا وَلِلْمُقَصِّرِينَ قال اللهم اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قالوا وَلِلْمُقَصِّرِينَ قَالَهَا ثَلَاثًا قال وَلِلْمُقَصِّرِينَ"[1] .

وهناك لفتة أخرى أشار إليها الرازي في الجمع بين الحلق والأمن إذ يقول :" {مُحَلِّقِينَ} حال الداخلين والداخل لا يكون الآن محرماً، والمحرم لا يكون محلقاً، فقوله {ءَامِنِينَ} ينبىء عن الدوام فيه إلى الحلق فكأنه قال : تدخلونها آمنين متمكنين من أن تتموا الحج محلقين."[2]

وقوله تعالى(لا تخافون)، فيها إشارة غيبية إلى فتح مكة، يقول البقاعي: " ولما كان الدخول حال الأمن لا يستلزم الأمن بعده قال تعالى : (لا تخافون) أي لا يتجدد لكم خوف بعد ذلك إلى أن تدخلوا عليهم عام الفتح قاهرين لهم بالنصر"[3] .

ولكن لماذا نفى الله تعالى الخوف مع انه جل ذكره قال (آمنين) ؟ يقول الرازي في ذلك: " فيه بيان كمال الأمن، وذلك لأنه بعد الحلق يخرج الإنسان عن الإحرام فلا يحرم عليه القتال، وكان عند أهل مكة يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فقال : تدخلون آمنين، وتحلقون، ويبقى أمنكم بعد خروجكم عن الإحرام"[4]، ويشير الزحيلي إلى ذلك بقوله :" وهذا تأكيد للأمن، فإنه تعالى أثبت لهم الأمن حال الدخول، ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد، لا يخافون من أحد. "[5]وهذا ما كان عليه المسلمون من تمام الأمن وانتفاء الخوف، بل إنَّ دخولهم وأداء مناسكهم بتلك الإعداد وهيبة الاستعداد كان أشبه باستعراض قوى أمام أعدائهم .

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحج، بَاب الْحَلْقِ وَالتَّقْصِيرِ عِنْدَ الْإِحْلَالِ، 1641، 617/2، ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، بَاب تَفْضِيلِ الْحَلْقِ على التَّقْصِيرِ وَجَوَازِ التَّقْصِيرِ،حديث رقم 1301، 945/2 .

[2] الرازي، **التفسير الكبير**، 91/28. وانظر، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 200/26.

[3] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، 213/7.

[4] الرازي، **التفسير الكبير**، 91/28.

[5]الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، **التفسير المنير** .دار الفكر المعاصر، بيروت- دمشق،1418هـ، 26\201.

الوعد الثاني : وعد الله تعالى للمسلمين بفتح سيكون قريبا.

اختلف المفسرون في هذا الفتح على وجوه وأبرزها :

الأول: إن هذا الفتح هو فتح مكة .

واستبعد معظم المفسرين أن يكون المقصود به فتح مكة لثلاثة أسباب :

1 -لأن بين نزول الآية وبين فتح مكة أكثر من سنتين، وقال تعالى (من دون ذلك) أي قبل دخولكم امنين إلى الحرم، يقول ابن جزي في ذلك :" وقيل هو فتح مكة وهذا ضعيف ، لأن معنى قوله من دون ذلك قبل دخول المسجد الحرام وإنما كان فتح مكة بعد ذلك فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة وعمرة القضية عام سبعة وفتح مكة عام ثمانية"[1] .

2 -إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل مكة في عام الفتح محرما، وهذه الآيات تبين أنهم سيدخلون محرمين[2].

3 -إنَّ تأويل ذلك الفتح بفتح مكة مناف للسياق كما لا يخفى[3].

الثاني : منهم من قال: أنه صلح الحديبية، وبه قال مجاهد، والزهري، وابن إسحاق [4]، والذين قالوا بأن الفتح المقصود هو صلح الحديبية استندوا إلى أمور عدة منها:

1 -لما كان في ذلك الصلح من خير للمسلمين، ودخول الكثير في الإسلام يقول الزهري :" لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية ، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الإسلام"[5].

ورجح الشعبي أنه يوم الحديبية حيث يقول :" قال : فتح الحديبية، غفر له ما تقدّم من ذنبه، وما تأخّر، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محلّه، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس "[6].

---

[1] ابن جزي(ت: 757هـ)، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي ، لبنان (ط4/ 1403هـ- 1983م) ، 56/4. وانظر، السمعاني، **تفسير القرآن**، 207/5. البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، 208/5.

[2]انظر، ابن عاشور،**التحرير والتنوير**، 200/26.

[3]انظر، الالوسي، **روح المعاني**، 122/26.

[4] انظر، الطبري، **تفسير الطبري**، 108/26، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط3/ 1404هـ)، 444/7. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 291/16.

[5] ابن الجوزي (ت:597هـ)، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير** ، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط3/ 1404هـ)،419/7، وانظر،الثعلبي، الكشف والبيان 64/9.الشوكاني، فتح القدير،55/5.

[6]الثعلبي،**الكشف والبيان**، 42/9.

2 -واستندوا أيضا إلى ما تحتمله كلمة الفتح من معانٍ، قال الفراء :"والفتح قد يكون صلحا، ويكون أخذ الشيء عنوة ويكون بالقتال..وإنما أريد به يوم الحديبية" [1]، والفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي جعل مع المشركين بالحديبية كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله تعالى [2].

3 -واستدل أصحاب هذا الرأي بجواب النبي صلى الله عليه وسلم لعمر، حين سأله عن معنى الفتح في الحديث الذي يرويه البخاري " فقال عُمَرُ يا رَسُولَ اللَّهِ أو فتح هو قال نعم "[3]، يقول البغوي مستدلا بهذا الحديث: " ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية"[4]

الثالث : أنه كان فتح خيبر وبه قال ابن عباس و عطاء وابن زيد ومقاتل [5]، ورجحوا ذلك لأن فتح خيبر كان قريب العهد من نزول هذه الآيات، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذي القعدة رجع إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم، وخرج في صفر إلى خيبر ففتحها الله عليه بعضها عنوة وبعضها صلحا، واستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر، وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم[6].

ويظهر أنَّ الأقرب إلى الصواب هو حمل المعنى على الفتوحات المذكورة جميعا، لأن كلمة الفتح وردت بصيغة تفيد العموم، وفي هذا إعجاز غيبي بليغ، فلو حمل المعنى على أي فتح منها لما خرج عن كونه وعدا بشَّرَ الله تعالى به ثم وقع .

وهذا ما رجحه شيخ المفسرين الطبري حيث يقول :" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله أخبر أنه جعل لرسوله والذين كانوا معه من أهل بيعة الرضوان فتحا قريبا من دون دخولهم المسجد الحرام، ودون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسل، وكان صلح الحديبية وفتح خيبر دون ذلك، ولم يخصص الله تعالى ذكره خبره ذلك عن فتح من ذلك دون فتح، بل عم ذلك، وذلك كله فتح جعله الله من دون ذلك والصواب أن يعمه كما عمه، فيقال: جعل الله من

---

[1] الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد ، **معاني القرآن** ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى / محمدعلى نجار / عبدالفتاح إسماعيل شلبى دارالمصرية للتأليف والترجمة، مصر، 64/3.

[2] انظر،ابن الجوزي، **زاد المسير**، 420/7، وابن عاشور، **التحرير والتنوير**،143/23.

[3]أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الصلح ، بَاب إِثْمِ من عَاهَدَ ثُمَّ غَدَرَ وقوله (الَّذِينَ عَاهَدْتَ منهم ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ في كل مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ)،3،1162/3011.

[4]البغوي، **معالم التنزيل**، 205/4.

[5] انظر،الطبري، **تفسير الطبري**، 108/26، والسمرقندي، **بحر العلوم**، 304/3، والنسفي، **تفسير النسفي**، 159/4.

[6]انظر، ابن كثير،**تفسير القرآن العظيم**، 356/7.

دون تصديقه رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدخوله وأصحابه المسجد الحرام محلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون المشركين صلح الحديبية وفتح خيبر"[1] .

ورجحه أيضا ابن عطية حيث اعتبر الفتح هنا اسم للجنس يعم كل ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم مما فيه ظهور وفتح عليه[2]، وهذا ما ذهب إليه القطان في تفسيره[3].

فسبحان عالم الغيب والشهادة كيف بشر نبيه بكل هذه الوعود التي تحققت وجمعها في كلمة واحدة.

---

[1] الطبري، **تفسير الطبري**، 108/26.

[2]انظر، ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 124/5.

[3] انظر، القطان، **تفسير القطان**، 254/3.

المبحث الخامس

إخبار الله تعالى بهزيمة المشركين في بدر

قال تعالى:

(أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (46)) {القمر :43-46}

وجه الله تعالى الخطاب في هذه الآيات الكريمة الى كفار قريش قائلاً لهم، إنما أنتم في كفركم بالله وتكذيبكم رسوله، كبعض هذه الأمم التي وصفتُ لكم أمرهم مثل قوم نوح وقوم لوط وغيرهم، وعقوبة الله بكم نازلة على كفركم به، كالذي نزل بهم إن لم تتوبوا وتنيبوا، أم لكم براءة من عقاب الله معشر قريش، أن تصيبكم بكفركم بما جاءكم به الوحي من الله في الزبر، وهي الكتب.[1]

وأجمع أهل التفسير أن ذلك الجمع هو جمع كفار قريش يوم بدر [2].

وما يعزز هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال:" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال –وهو في قبة له يوم بدر–: أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تُعبد بعد اليوم أبدا". فأخذ أبو بكر، رضي الله عنه، بيده وقال: حسبك يا رسول الله! ألححت على ربك. فخرج وهو يَثِبُ في الدِّرع وهو يقول: { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ } .[3]

وما رُوي عن عكرمة أن عمر قال:" لما نزلت سيهزم الجمع جعلت أقول أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر"[4].

ومما يجب تحقيقه هو معرفة ما إذا كانت هذه الآيات قد نزلت قبل معركة بدر أم أنزلت اثناءها، ليتبين مدى وضوح الإعجاز الغيبي، فمن المعلوم أنَّ معركة بدر وقعت بعد الهجرة إلى

---

[1] انظر،الطبري، **تفسير الطبري**، 27\107.

[2] انظر، الطبري، **تفسير الطبري**، 109/27، والواحدي، تفسير الواحدي، 1049/2، والبغوي، معالم التنزيل، 433/7،.الشوكاني، **فتح القدير**، 5\129، والنسفي، **تفسير النسفي**، 198/4، وابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، 82/4،، ابن الجوزي، **زاد المسير**، 100/8، أبي السعود، **تفسير أبي السعود**، 174/8.

[3] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، بَاب (بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) يَعْنِي من الْمَرَارَةِ، رقم،4596، 1846/4، وابن حنبل، **مسند الإمام احمد** 3043 ،329/1.

[4] أخرجه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الأوسط**، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة،(1415هـ)، 2746 ،145/3، والطبري، **تفسير الطبري**، 108/27 .ابن ابي حاتم، **تفسير ابن أبي حاتم** ، 18713، 10\3321.ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، 482/7.وهو حديث منقطع، انظر، ابن حجر(ت:852هـ)، أحمد بن علي العسقلاني، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** ، تحقيق : د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية،(ط1\ 1419هـ)، 290/15.

المدينة المنورة، وسورة القمر مكية كلها على على رأي الجمهور وهو الصحيح [1]، ووقع خلاف في مكية هذه الآيات، والراجح أنها مكية للأدلة آلاتية :

1 -حديث عائشة رضي الله عنها قالت :" نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة –وإني لجارية ألعب–{ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ } "[2].

2 -حديث عمر السابق، قال" لما نزلت سيهزم الجمع جعلت أقول أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر "،ونحوه عن سعد بن ابي وقاص، ويستدل من هذه الأحاديث أن نزول الآية كان قبل معركة بدر، بل قبل أن يكون هناك جمع لجيش قريش، وكان ذلك في مكة، ولذلك احتار الصحابة في هذا الجمع .

3 -السورة عدا هذه الآيات مكية بلا خلاف، وحادثة انشقاق القمر شهيرة وكانت في مكة ، وأعقبها نزول هذه الآيات لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال :" بَيْنَمَا نَحْنُ مع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمِنًى فَانْشَقَّ الْقَمَرُ فَلْقَتَيْنِ فَلْقَةٌ من وَرَاءِ الْجَبَلِ وَفَلْقَةٌ دُونَهُ فقال لنا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اشْهَدُوا يَعْنِي (اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) "[3]

ويتبين أن سورة القمر كلها مكية، ومن ضمنها هذه الآيات ، وإنما رددها النبي صلى الله عليه وسلم مستشهدا بها يوم بدر، قال القاضي أبو محمد : "فإنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر مستشهدا بالآية"[4].

وقال مقاتل : "إلا ثلاث آيات من قوله تعالى : { **أم يقولون نحن جميع منتصر** } إلى قوله : { **والساعة أدهى وأمر** }"[5]، وقال مقاتل : "ضرب أبو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف وقال : نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فأنزل الله تعالى { **نحن جميع منتصر * سيهزم**

---

[1] انظر، القرطبي، **الجامع لإحكام القرآن**، 125/17.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، بَاب (بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) يَعْنِي من الْمَرَارَةِ ، 4595، 1846/4.

[3] أخرجه مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التفسير، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْقَمَرِ، رقم، 2800، 2158/4، ونحوه في البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، بَاب وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا، رقم، 3437، 1330/3.

[4] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، 220/5.

[5] القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، 125/17.

الجمع ويولون الدبر}"[1] وهو حديث لم يصح [2]، ولا يقف أمام الأدلة والروايات الصحيحة السابقة، وعلل ابن عاشور رأي مقاتل قائلا: " ولعل ذلك من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) تلا هذه الآية يوم بدر"[3]

إنّ الإعجاز الغيبي في هذه الآيات شبيه بذلك الإعجاز الذي سبق في سورة الروم، فقد أخبر الله تعالى عن جمع قريش أنه سيهزم، وحصل ذلك بعد بضع سنين من تاريخ نزول الآيات، وهزموا في معركة بدر شر هزيمة وولوا مدبرين جميعا.

ثم إن وصف الله تعالى لحالهم، كان في غاية البلاغة حيث قال: (**سيهزم الجمع ويولون الدبر**)، ولم يقل الأدبار كما جاء في آيات أخرى، وأشار الرازي إلى هذا الإفراد بقوله :" (إفراده إشارة إلى أنهم في التولية كنفس واحدة، فلا يتخلف أحد عن الجمع ولا يثبت أحد للزحف، فهم كانوا في التولية كدبر واحد، بينما ذكر تعالى في موضع آخر (**فَلَا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**)، أي كل واحد يوجد به ينبغي أن يثبت ولا يولي دبره، فليس المنهي هناك توليتهم بأجمعهم، بل المنهي أن يولي واحد منهم دبره، وفي قوله تعالى (**لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ**) (الحشر : 12) فإن المراد المنافقون الذين وعدوا اليهود وهم متفرقون بدليل قوله تعالى : (**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**) (الحشر : 14)، وأما في هذا الموضع –أي في سورة القمر –فهم كانوا يداً واحدة على من سواهم ."[4]

---

[1]القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن** ، 17/ 146، والحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**،تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت /لبنان(1419 هـ -1998 م)، 18\277.

[2]القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، 125/17.

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 27\165.

[4]الرازي، **التفسر الكبير**،61/29

المبحث السادس

إخبار الله تعالى بدخان وعذاب يغشى كفار مكة

قال تعالى:

(بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16)) {الدخان:9-16 }.

المطلب الأول: أقوال العلماء في المقصود بالدخان في هذه الآيات

هذه السورة مكية بتمامها [1]، واختلف المفسرون في موعد هذا الدخان وطبيعته، على قولين:

الأول : أنّ الدخان المقصود هنا هو الذي يأتي قبل يوم القيامة، ويكون من أشراطها، وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن فقالوا : الدخان آية من آيات الله، مرسلة على عباده قبل مجيء الساعة، فيدخل في أسماع أهل الكفر به، ويعتري أهل الإيمان به كهيئة الزكام، قالوا: ولم يأت بعد، وهو آت.[2] .

واستدلوا بما يلي:

1 - حديث حذيفة بن اليمان عندما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدخان قال :" وما الدخان؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية(يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) يَمْلأُ ما بَينَ المَشْرِقِ والمَغْرِب يَمْكُثُ أَرْبَعِينَ يَوْما وَلَيْلَةً، أَمَّا المُؤْمِنُ فَيُصِيبُهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكامِ، وأَمَّا الكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنزلَةِ السَّكْرانِ يَخْرُجُ مِنْ مَنْخِرِيهِ وأُذُنَيْهِ ودُبُرِهِ" [3]وكل من فسر الدخان بأنه ما يجيء قبل قيام الساعة، استقوا رأيهم من هذا الحديث ، ومن الأحاديث الصحيحة عن الدخان، الذي يسبق قيام الساعة، كما سيأتي.

---

[1] انظر ،البغوي، **معالم التنزيل**، 150/4، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ،138/4.

[2] انظر، الطبري، **تفسير الطبري** ، 111/25.

[3] أخرجه البغوي بسنده، **معالم التنزيل**، 150/4 . (الحكم على الحديث ص 62 من هذا البحث).

2- واستدلوا بأن الله تعالى أخبر عن دخان، وأما ما جرى مع قريش فليس بدخان، وإنما خُيل إليهم، من شدة الجوع.

3- قالوا بأن الله تعالى أخبر، بأن الدخان يكون من السماء، وهذا لا يكون الا دخانا حقيقيا.[1]

القول الثاني: وهو قول ابن مسعود وجماهير المفسرين [2]، وقالوا إن الدخان عبارة عما أصاب قريشاً حين دعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجدب، فكان الرجل يرى دخاناً بينه وبين السماء من شدّة الجوع .

1. واستدلوا بتفسير ابن مسعود لهذه الآية، وذلك عندما أنكر على من فسر الدخان، بأنه الذي يأتي قبل يوم القيامة، فقال ابن مسعود:" إنما كان هذا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَوْا على النبي صلى الله عليه وسلم دَعَا عليهم بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حتى أَكَلُوا الْعِظَامَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إلى السَّمَاءِ فَيَرَى ما بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ من الْجَهْدِ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى (فَارْتَقِبْ يوم تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى الناس هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال : فَأُتِيَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَسْقِ اللَّهَ لِمُضَرَ فَإِنَّهَا قد هَلَكَتْ، قال لِمُضَرَ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ فَاسْتَسْقَى فَسُقُوا فَنَزَلَتْ (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) فلما أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ عَادُوا إلى حَالِهِمْ حين أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاهِيَةُ فَأَنْزَلَ الله عز وجل (يوم نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ) قال يَعْنِي يوم بَدْرٍ[3].

والراجح هو الرأي الثاني كما رجحه معظم أهل التفسير للأدلة الآتية:

1. حديث عبد الله بن مسعود:" مَضَى خَمْسٌ الدُّخَانُ وَالرُّومُ وَالْقَمَرُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ[4]"[5]، وعنى بذلك أنها وقعت كما أخبر بها القرآن الكريم، فيستبعد أن يكون الدخان المقصود في هذه الآية هو الذي يأتي قبل يوم القيامة.

---

1 انظر، الطحاوي (ت:321هـ) ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ، **شرح مشكل الآثار**، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان/ بيروت (1408هـ – 1987م).2\425.

2 انظر، الالوسي، **روح المعاني**، 117/25.

3 البخاري، **صحيح البخاري**، كتب التفسير، بَاب يَغْشَى الناس هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ 4،1823/4544،واللفظ له، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَاب الدُّخَانِ ، 2798 ،2155/4. وأخرجه أيضا في بَاب الِاسْتِسْقَاءِ وَخُرُوجِ النبي صلى الله عليه وسلم في الِاسْتِسْقَاءِ، 962، 341/1.

4 المقصود باللزام هنا ما جاء في الآية الكريمة (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (الفرقان: 77) قال أبي بن كعب وابن مسعود: هو القتل يوم بدر،انظر، الطبري، **تفسير الطبري**،56/19-57..

5 البخاري، كتاب التفسير، بَاب يَغْشَى الناس هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ 4،1823/4543.

وهذا القول لا ينافي أن يكون الدخان من علامات يوم القيامة الواردة في الأحاديث الصحيحة، ولكنه ليس هو المقصود في هذه الآية، وان صحت رواية حذيفة فلا تعارض، ويبقى الإعجاز الغيبي في هذه الآيات صحيحا يقول ابن جرير:" فإنه غير منكر أن يكون أحلّ بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون مُحِلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك".[1]

وأيد هذا الترجيح الشوكاني :" والراجح منها أنه الدخان الذي كانوا يتخيلونه مما نزل بهم من الجهد وشدة الجوع ولا ينافي ترجيح هذا ما ورد أن الدخان من آيات الساعة فإن ذلك دخان آخر ولا ينافيه"[2]

2. ضعف سند حديث حذيفة بن اليمان الذي فسر فيه النبي صلى الله عليه وسلم الدخان المقصود في هذه الآية بأنه الدخان الذي هو من إمارات الساعة .

قال ابن جرير بعد أن رجح رأي ابن مسعود وضعف هذا الحديث:" لو صح هذا الحديث لكان فاصلا وإنما لم أشهد له بالصحة، لأن محمد بن خلف العسقلانيّ حدثني أنه سأل روّادا عن هذا الحديث، هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا فقلت له: فقرأته عليه، فقال: لا فقلت له: فقرئ عليه وأنت حاضر فأقرّ به، فقال: لا فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه عليّ وقالوا لي: اسمعه منا فقرءوه عليّ، ثم ذهبوا، فحدّثوا به عني" [3].

وتابعه ابن كثير ورجح ضعف الرواية فقال : " وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا، فإنه موضوع بهذا السند، وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير، وفيه منكرات كثيرة جدًا، ولا سيما في أول سورة "بني إسرائيل" في ذكر المسجد الأقصى، والله أعلم." [4]

3. إنّ سياق الخطاب في هذه الآيات كان موجهاً لكفار قريش، قال ابن جرير معللا ترجيحه لرأي ابن مسعود :" لأن الله جلّ ثناؤه توعَّد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم

---

[1] الطبري، **تفسير الطبري**،25/114-115.
[2] الشوكاني، **فتح القدير**، 4/571.
[3] الطبري، **تفسير الطبري**، 25/ 114.
[4] ابن كثير، **تفسير القرآن** العظيم، 4/140.

(فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم"[1].

4. والرد على من استدل بأن الله تعالى أخبر عن دخان، وما جرى مع قريش لا يعتبر دخانا، أن المذكور في حديث ابن مسعود سمي دخانا على المجاز، لتوهم قريش أنه دخان في الحقيقة من الجهد الذي بها، وإن لم يكن في الحقيقة كذلك .

5. وإنكارهم على أن من قال بأن الدخان ما أصاب أهل مكة، بحجة نسبة الله تعالى الدخان للسماء، رد عليه الطحاوي بقول:" وجه الإضافة إلى السماء إنما كانت والله أعلم لأن الأشياء التي تحل بالناس من ربهم عز وجل تضاف إلى السماء، من ذلك قوله سبحانه وتعالى : (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) (السجدة:5)، فأخبر عز وجل أن الأمور التي تكون في الأرض مدبرة من السماء إليها فمثل ذلك ما كان من تدبيره عز وجل في السبب الذي عاقب به قريشا لكفرها وعتوها عاقبها به حتى رأت من تلك العقوبة دخانا، وليس في الحقيقة كذلك."[2]

المطلب الثاني: تحقيق وجه الإعجاز الغيبي في آيات الدخان

تحدثت هذه الآيات عن أربعة إخبارات غيبية وهي:

الأول : في قوله تعالى (فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) في هذه الآية إخبار بما يغشاهم من القحط وشدة الجوع ، حتى ينظر الرجل إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان، وتحقق ذلك حتى إنهم أكلوا العظام، وأصبح أحدهم يرى ما حوله دخانا من شدة الجوع كما سبق في حديث ابن مسعود.[3]

الثاني: الإخبار بأنهم سيضرعون إلى الله حين تحل بهم هذه الأزمة :وذلك في قوله تعالى :(رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ)، وهذا ما حدث عندما جاء أبو سفيان متوسلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله ليرفع عنهم هذا العذاب.

---

[1] الطبري، **تفسير الطبري**، 114/25.

[2] الطحاوي، **شرح مشكل الآثار**، 2\425.

[3] سبق تخريجه، ص61.وكل ما ورد من وقائع في هذه النقاط الأربع مستسقى من هذا الحديث.

الثالث: الإخبار بأن الله سيكشف عنهم ذلك العذاب قليلاً، وذلك في قوله تعالى:(إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ)، ورُفع عنهم هذا العذاب بعد أن استسقى رسول الله لمضر فسقوا الغيث .

الرابع: الإخبار بأنهم سيعودون إلى كفرهم وعتوهم، وذلك في قوله تعالى : (إنكم عائدون).ولقد عادوا الى كفرهم، وتمادوا به وبارزوا الرسول صلى الله عليه وسلم العداء في معركة بدر وما بعدها.

الخامس:الإخبار بأن الله سينتقم منهم يوم البطشة الكبرى .

واختلف في المقصود بالبطشة على معنيين:

الأول : هو يوم بدر، ورد ذلك عن ابن مسعود وابن عباس في قول ومجاهد ومقاتل وأبي العالية رضي الله تعالى عنهم، ورجحه معظم أهل التفسير.[1]

واستدلوا بما يلي :

1 -ما ورد في حديث ابن مسعود :" مَضَى خَمْسٌ الدُّخَانُ وَالرُّومُ وَالْقَمَرُ وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ"[2].

2 -استدلوا بما جرى لقريش في بدر، من تنكيل وقتل وأسر، يقول ابن عاشور:"هي بطشة يوم بدر فإن ما أصاب صناديد المشركين يومئذٍ كان بطشة بالشرك وأهلِه لأنهم فقدوا سادتهم وذوي الرأي منهم الذين كانوا يسيّرون أهل مكة كما يريدون" .[3]

القول الثاني : أن المقصود بالبطشة هو يوم القيامة، وهو قول ابن عباس في أصح الروايتين وعكرمة والحسن البصري[4]، واستدلوا ما يلي :

---

[1] انظر، البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير ، بَاب يَغْشَى الناس هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ، 4544 ،1823/4، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، بَاب الدُّخَانِ، 2798 ،2155/4.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير ، بَاب يَغْشَى الناس هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ، 4543 ،1823/4.

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 293/25.

[4] انظر، الطبري، **تفسير الطبري**، 25 /117، البغوي، **معالم التنزيل**، 150/4،وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 141/4. السيوطي، الدر المنثور، 408/7

1 -حديث ابن عباس ": قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال ابن مسعود رضي الله عنه: البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة"[1]

2 -استدلوا بمعنى البطشة[2]، وأنه معنى لا يليق إلا بيوم القيامة، لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف بهذا الوصف العظيم، ولأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى، ولأن هذه البطشة لما وصفت بكونها كبرى على الإطلاق وجب أن تكون أعظم أنواع البطش وذلك ليس إلا في القيامة . .[3]

ويعود المعنى المقصود للبطشة بحسب ما فسر كل عالم المقصود في الدخان، فإن السياق واحد، فمن فسر الدخان بأنه من أشراط الساعة فسر البطشة هنا بأنها يوم القيامة، ومن فسر الدخان بأنه ما جرى لأهل مكة من عذاب فسر البطشة هنا يوم بدر.

والراجح هو إعمال كلا المعنيين فلا تعارض، فيكون وعد الله تعالى بالانتقام منهم يوم بدر قد حصل، وبه وقع الإعجاز الغيبي، ويوم القيامة يجزيهم الله على سوء أعمالهم، وكلا الحدثين مطابق للمعنى أتم المطابقة وهذا ما رجحه السعدي في تفسيره .[4]

---

[1] الطبري، **تفسير الطبري**، 117/25.

[2] البطش : التناول بشدة عند الصولة والأخذ الشديد في كل شيء. ابن منظور، **لسان العرب**،6\267. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد ، **تهذيب اللغة** ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط 1\2001م)، 11\218.

[3] انظر، الرازي، **مفاتيح الغيب**، 209/27.

[4] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** ، تحقيق : ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (1421هـ- 2000م)، 1/773-772.

المبحث السابع

وعد الله تعالى بالتمكين للمؤمنين

قال تعالى :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)) {النور :55 }

سبب نزول هذه الآية ما يرويه أبي بن كعب رضي الله عنه قال : "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة وآواهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا في لأمتهم، فقالوا : أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل فنزلت هذه الآية : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..)"[1]

هذه الآيات من وعود الله الصادقة، التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه وعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، فيكونوا هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه يمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام، الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها ونعمته عليها، فقد ارتضى لهم الإسلام حتى أقيمت شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، ووعدهم سبحانه أن يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الأعداء أمنا ويذهب عنهم أسباب الخوف الذى كانوا فيه بحيث لايخشون إلا الله.[2].

---

[1] الطبري، **تفسير الطبري**، 18\159-160 . الحاكم، المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي،رقم، 3512، 2\434، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال عنه الذهبي صحيح. ،والطبراني، المعجم الأوسط، رقم، 7029، 7\119، الضياء، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، **الأحاديث المختارة**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.(ط 1\1410هـ)، رقم، 1145 ،2\76، وقال عنه الهيثمي :" رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات"، الهيثمي(ت: 707هـ)، علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت، (1407) ، 7 / 83. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 3\301.

[2] انظر، الشوكاني، **فتح القدير**، 4\47، ابن كثير،**تفسير القرآن العظيم**، 3 \301-302. السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، 1\537.

وقد تحقق وعد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، وإلى هذا الوعد أشار ابن كثير بقوله: " وقد فعل تبارك وتعالى ذلك. وله الحمد والمنة، فإنه لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها. .. وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية –وهو المقوقس –وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة، الذي تَملَّك بعد أصْحَمة، رحمه الله وأكرمه."[1]

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق، فبعث الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس، ففتحوا طرفا منها، وقتلوا خلقا من أهلها. وفتح الله للجيش الإسلامي في أيامه بُصرى ودمشق ومَخَاليفهما من بلاد حَوران وما والاها، وتوفاه الله عز وجل، ثم مَنّ الله تعالى على الإسلام وأهله بأن ألهم الصديق أن استخلف عمر الفاروق، فقام في الأمر بعده قياما تاما، وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها، وديار مصر إلى آخرها، وأكثر إقليم فارس، وكَسَّر كسرى وأهانه غاية الهوان، وتقهقر إلى أقصى مملكته، وقَصَّر قيصر، وانتزع يده عن بلاد الشام فانحاز إلى قسطنطينة، وأنفق أموالهما في سبيل الله، ثم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، إمتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك: الأندلس، وقبرص، وبلاد القيروان،ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين، وقتل كسرى، وباد ملكه بالكلية. وفتحت مدائن العراق، وخراسان، والأهواز.[2]

وتحقق ما أخبر الله تعالى به من اكتمال الأمن وعدم الخوف، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعديّ بن حاتم، حين وفد عليه: "أتعرف الحيرة؟ قال : لم أعرفها، ولكن قد سمعت بها. قال: " فوالذي نفسي بيده، ليُتمنّ الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحِيرَة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هرمز". قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: " نعم، كسرى بن هرمز، وليُبذَلَنّ المالُ حتى لا يقبله أحد، قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد، ولقد كنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده، لتكونن الثالثة؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها"[3].

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 3 \301.بتصرف يسير.

[2] انظر، **المرجع السابق**، 3 \302.

[3] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ في الْإِسْلَامِ، رقم، 3400 ،3\1316.

لقد كان أكبر أماني المسلمين بعد هجرتهم وتنفسهم الصعداء قليلا أن يسلم لهم دينهم ويعيشوا آمنين في مهاجرهم، كما يدل على ذلك حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، هكذا كان حال الصحابة أيام أن وعدهم الله ما وعد وما أعجل تحقق هذا الوعد الإلهي رغم هذه الحال المنافية لما هم عليه من استضعاف، فاستخلفهم تعالى في أقطار الأرض وأورثهم ملك كسرى وقيصر، ومكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأبدلهم من بعد خوفهم أمنا، وهي نبوءة لا يمكن أن يتحدث بها إلا من يملك تحقيقها، ومن يخرق إن شاء عادات الكون ونواميسه من أجلها.[1]

ويستمر هذا الوعد نافذا ما دام المسلمون مستمسكين بدينهم، ومستحقين التمكين في الأرض، وليس هذا الوعد مقتصراً على الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، بل هو عام إلى قيام الساعة، ما دام المسلمون محققين لشرط الله تعالى يقول القطان في ذلك :" وقد تحقق هذا الوعدُ لأسلافنا، وهو قائمٌ إلى الأبد إذا نحن أقمنا على شرطِ الله بأن نصدُق في إيماننا، ونسيرَ على منهاج ديننا . إن وعدَ الله حقٌّ قائم وشَرْطَ الله حق معروف".[2]

ثم اتسعت الدولة الإسلامية في العهد الأموي، ثم العهد العباسي، وكان هذا حال المسلمين على مر العصور، كلما اقتربوا من دينهم مكن الله تعالى لهم وأعطاهم الأمن، وكلما ابتعدوا أرسل الله تعالى عليهم من يسومهم سوء العذاب وينسف أمنهم، وهذا ما عليه حال المسلمين الآن من البعد عن منهج الله تعالى، وما استحقوه من ذل وهوان وخوف والله المستعان.

---

[1] انظر، الزرقاني، **مناهل العرفان**، 2\372.

[2] القطان، **تيسير التفسير**، 3\4.

المبحث الثامن

القرآن يكذّب وعود المنافقين لليهود ويصف طبيعة اليهود

قال تعالى :(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (13) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (14)) (الحشر :10-14)

نزلت هذه الآيات في المدينة المنورة في السنة الرابعة للهجرة، وقبل إجلاء بني النضير منها، فبعد أن قرر النبي صلى الله عليه وسلم إجلاء بني النضير لما ظهر له من خيانتهم ومحاولة قتله، ذهب المنافقون في المدينة وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق وأرسلوا إلى بني النضير يحرضونهم على الرفض والمقاومة، وقالوا لهم : أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم . وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، وقد خرج بنو النضير من ديارهم أذلاء فلم يخرج المنافقون معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم، ولو نصروهم وقاتلوا معهم لانهزموا جميعا .[1]

وجه الإعجاز الغيبي في هذه الآيات

في هذه الآيات ثلاثة إخبارات غيبية، وهي : إخبار الله تعالى بما سيكون من هزيمة بني النضير، وإخبار الله تعالى بأن المنافقين لن ينصروا إخوانهم من اليهود، والثالث هو الإخبار بطبيعة اليهود وأنهم لا يقاتلون إلا من وراء جدر.

فمن الإعجاز الغيبي الإخبار عن خلف المنافقين في وعدهم مع اليهود، وهو من أدلة النبوة وأحد وجوه الإعجاز، وهذا ما اقره جماعة من أهل التفسير.[2]

---

[1] انظر، الطبري، **تفسير الطبري**، 28\46، البغوي، **معالم التنزيل**، 4\321، الرازي، **مفاتيح الغيب**،29\251 .

[2] انظر، القرطبي ،**الجامع لاحكام القرآن**، 18\32. الالوسي، **روح المعاني**، 28\57.

وأعتبر الخلوتي أن الإعجاز الغيبي وقع في هذه الآية من وجهين إذ يقول عند تفسير هذه الآية :"وفيه حجة بينة لصحة النبوة وإعجاز القرآن، أما الأول: فلأنه أخبر عما سيقع فوقع كما أخبر، وذلك لأن نزول الآية مقدم على الواقعة، وعليه يدل النظم فان كلمة إن للاستقبال، وأما الثانى فمن حيث الإخبار عن الغيب { ولئن نصروهم } على الفرض والتقدير { ليولن الأدبار } فرارا وانهزاما" [1]، وقد وقع تصديق هذين الخبرين من هزيمة بني النضير وإجلا ئهم، ثم خذلان المنافقين لهم.

والإخبار الثالث في قوله تعالى (لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ) أي من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم. [2]

وجرت الأيام والحوادث مصدقة لطبيعة اليهود في قتالهم داخل قرى محصنة، ففي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم تحصنوا داخل قلاعهم وقراهم، في غزوة بني قينقاع وغزوة بني النضير وغزوة بني قريظة، وآخرها حصار خيبر، ففي كل هذه المواجهات ما استطاعوا مقاتلة المسلمين وجهاً لوجه، وإنما من داخل حصونهم.

وما فارقتهم هذه الخصلة بل بقيت تجري في عروقهم، حتى هذا العصر، جاء في تفسير الظلال ما نصه :" وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في تشخيص حالة المنافقين وأهل الكتاب حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان، وفي أي مكان، بشكل واضح للعيان . ولقد شهدت الاشتباكات الأخيرة في الأرض المقدسة بين المؤمنين الفدائيين وبين اليهود مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة، فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصنة في أرض فلسطين . فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولوا الأدبار كالجرذان . حتى لكأن هذه الآية نزلت فيهم ابتداء . وسبحان العليم الخبير !".[3]

---

[1] الخلوتي، **روح البيان**، 15\221.

[2] انظر، القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، 18\35.

[3] قطب(ت: 1385هـ)، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، القاهرة،(ط 17\1412 هـ)، 6/3529.

وما نراه الآن من مغتصبات صهيونية [1] على الأراضي المحتلة في فلسطين، خير دليل على طبيعتهم التي أخبرنا الله تعالى بها، فهم ينتقون أعالي الجبال وسط تحصينات منيعة، لأنهم أهل خيانة وغدر، فالخوف لا يغادرهم فلذلك يتحصنون في مثل هذه القلاع والمغتصبات ونحوها.

وأما قتالهم من وراء جدر فـلا يخفى على أحد، وينطبق عليها اليوم قتالهم من الطائرات والدبابات التي اشتهروا بها، ومن خلف الأسوار كالسور الواقي الذي بنوه في الأراضي المحتلة في فلسطين وكخط بارليف في مصر ، وما حدث في معاركهم في حربهم ضد المقاومة في فلسطين، خير دليل على تحقق إعجاز القرآن في إخباره عن طبيعتهم قبل قرون.

وهناك إضافة جديدة من ذكر الجُدُر بعد القرى المحصنة، فمن الملاحظ أن الله تعالى فصل بين القرى المحصنة و الجُدُر بحرف العطف (أو)، وللعطف بأو فائدة أخرى، وهي كما يظهر من سياق الآية تفيد أن اليهود حين يقاتلونكم، ف إن لهم في قتالكم حالتين،الأولى أن يتحصنوا منكم بداخل قراهم التي بالغوا في تحصينها،والثانية فالخروج للقائكم، وذلك يستلزم ترك القرى المحصنة ولأنهم أجبن من ذلك، فقد كانت فكرة الجدار هي الأنسب لهم لكي يتمكنوا من التحرك خارج حصونهم.

[1] اسم يطلق على المستعمرات التي انشأها الاحتلال الصهيوني في فلسطين، ويسكنها اليهود المتدينون.

المبحث التاسع

الإعجاز الغيبي في وصف طبيعة اليهود من حرص على حياة

قال تعالى :

(قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96) (البقرة : 94-96).

وقوله تعالى:

(قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) . (الجمعة : 6-7).

صورت هذه الآيات طبيعة اليهود، من حرص شديد على الدنيا، وكره للموت .

وجه الإعجاز الغيبي في هذه الآيات

يتبين الإعجاز الغيبي في المقطع السابق من وجهين :

الأول : إخبار الله تعالى بأن اليهود لن يتمنوا الموت ولو بـألسنتهم، وأشار الرازي إلى هذا الإعجاز بقوله :"أما قوله تعالى (وَلَن يَتَمَنَّوْهُ) فخبر قاطع عن أن ذلك لا يقع في المستقبل، وهذا إخبار عن الغيب، لأن مع توفر الدواعي على تكذيب محمد (صلى الله عليه وسلم) وسهولة الإتيان بهذه الكلمة، أخبر بأنهم لا يأتون بذلك، فهذا إخبار جازم عن أمر قامت الأمارات على ضده فلا يمكن الوصول إليه إلا بالوحي ، وأما قوله تعالى أَبَدًا، فهو غيب آخر لأنه أخبر أن ذلك لا يوجد ولا في شيء من الأزمنة الآتية في المستقبل ولا شك أن الإخبار عن عدمه بالنسبة إلى عموم الأوقات فهما غيبان "[1] .

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 3\175.

ومسألة عدم تمنيهم الموت ولو نفاقا، بعد أن أخبر الله تعالى أنهم لن يتمنوه شبيهة بما حصل مع أبي لهب والوليد بن المغيرة، بعد أن توعدهم الله تعالى بالعذاب، ولم يخطر ببالهم أن يقولوا بخلاف ما أخبر الله تعالى به، يقول الشعراوي:"والله تبارك وتعالى حين أنزل هذه الآية، وضع قضية الإيمان كله في يد اليهود، بحيث يستطيعون إن أرادوا أن يشككوا في هذا الدين، كيف؟ ألم يكن من الممكن عندما نزلت هذه الآية أن يأتي عدد من اليهود ويقولوا ليتنا نموت، نحن نتمنى الموت يا محمد . فادع لنا ربك يميتنا . . ألم يكن من الممكن أن يقولوا هذا؟ ولو نفاقا، وَلو رياءً ليهدموا هذا الدين، ولكن حتى هذه لم يقولوها ولم تخطر على بالهم، أنظر إلى الإعجاز القرآني في قوله سبحانه : { وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ } "[1].

الوجه الثاني للإعجاز : يتجلى هذا الوجه من وصف الله تعالى لليهود أنهم حريصون على الدنيا حرصا شديدا وأنهم يبغضون الموت، وإن كان حب الحياة وكره الموت أمر فطر الله عليه الناس مؤمنهم وكافرهم، إلا أن عدم تمني اليهود الموت، ليس على الوجه المعتاد عند البشر من كراهة الموت ما دام المرء بعافية بل هم تجاوزوا ذلك إلى كونهم أحرص من سائر البشر على الحياة، حتى المشركين الذين لا يرجون بعثاً ولا نشوراً ولا نعيماً . [2]

وسبب زيادة حرصهم على الحياة على حرص المشركين، هو إيمانهم بالبعث وعلمهم بما ينتظرهم من عذاب في الآخرة، وذلك بما قدمت أيديهم من ظلم وأكل للحرام، وقتل للأنبياء وغدر ونكث بالمواثيق، بينما المشركون لا يؤمنون بيوم يحاسبون فيه، فهؤلاء المشركون يفترض أن يكونوا أحرص الناس على الحياة، إذ هي الأولى والأخيرة عندهم، ولكن اليهود فاقوهم بهذا الحرص.[3]

فلو أنهم علموا من أنفسهم خيرا، لما حرصوا كل هذا الحرص على الحياة، لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب.[4]

---

[1] الشعراوي، **تفسير الشعرواي (الخواطر)**، 473/1.

[2] انظر، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 1\617.

[3] انظر، الزحيلي، **التفسير المنير**، 1\231.

[4] انظر، الزمخشري، **الكشاف**، 1\192.

ومما يزيد في بلاغة الإعجاز في هذه الآية، هو دقة التعبير القرآني في وصف الحياة التي يحرصون عليها، فإن الله تعالى ذكر (حياة) نكرة، وذلك قصداً للتنويع أي كيفما كانت تلك الحياة، من سوء الحالة ورذالة العيش .[1]

وجاء في سورة الجمعة هذا المعنى من حرص اليهود على الحياة، ولكن اللفظ المستخدم في الجمعة (ولا يتمنونه) بدل (ولن يتمنوه)، لمقصد أشار له الزحيلي حيث يقول :" أتى هنا بلن وفي سورة الجمعة بلا لأن ادعاءهم هنا أعظم من ادعائهم هناك، فإنهم ادعوا هنا اختصاصهم بالجنة، وهناك كونهم أولياء للّه من دون الناس ". [2]

[1] انظر، ابن عاشور،**التحرير والتنوير**، 1\617.

[2] الزحيلي، **التفسير المنير**،1\229.

المبحث العاشر

الإخبار بأن النبي صلى الله عليه وسلم لن يكبر له ولد وأنه خاتم النبيين

قال تعالى : "**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40)**" {الأحزاب:40 }

نزلت هذه الآية في المدينة المنورة، في العام الخامس للهجرة، وحين نزلت لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم أبناء ذكور، فإن جميع ولده ماتوا في مكة وهم من خديجة [1]، وأما إبراهيم فلم يكن مولوداً، لأنه ولد بعد نزول هذه الآيات وكانت ولادته في السنة الثامنة للهجرة . [2]، وكذلك أخبرت الآيات أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم سيكون خاتم النبيين ولا نبي سيأتي بعده وبذلك جاءت الأحاديث الصحيحة.

وجه الإعجاز الغيبي في الآيات

يتبين مما سبق أنَ الآيات الكريمة قد احتوت على إخبارين غيبيين، وقد جاءت الوقائع مطابقة تماما لما أخبر به القرآن الكريم .

المطلب الأول: إخبار الله تعالى بأن النبي صلى الله عليه وسلم لن يكون له أولاد ذكور يبلغو ن الحلم

ولهذا قال تعالى في الآية (من رجالكم)، جاء في خواطر الشعرواي :"تأمل عظمة الأداء القرآني في كلمة { مِّن رِّجَالِكُمْ . . . } [الأحزاب : 40] ولم يَقُلْ مثلاً أبا أحد منكم، لماذا؟ قالوا : لأنه صلى الله عليه وسلم كان أباً لعبد الله وللقاسم ولإبراهيم، وكانوا جميعاً منهم، وهو صلى الله عليه وسلم أبوهم، فجاءت كلمة { رِّجَالِكُمْ . . . } [الأحزاب: 40] لتُخرج هؤلاء الثلاثة؛ لأنهم لم يبلُغوا مبلغ الرجال، فمحمد ما كان أبداً أبا أحد من الرجال، وإنْ كان أباً لأولاد صغار لم يصلوا إلى مرحلة الرجولة ."[3]

---

[1] انظر، ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، 175/2. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 3\493.

[2] انظر، ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، 177/2. ابن عاشور **التحرير والتنوير**، 22\44.

[3] الشعراوي، **تفسير الشعرواي الخواطر** ، 12057، وانظر، السمعاني، **تفسير السمعاني**،4\290، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 22\44.

ولا يصح قول من أعترض بأن الحسن والحسين يعتبران من أبنائه إحتجاجا بما جاء في آية المباهلة (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ) (آل عمران: 61)، ويرد عليهم ابن جزي بقوله :" وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين، لأنه صلى الله عليه وسلم ليس أباً لهما في الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه، وإنما كانا ابني بنته، وأما ذكور أولاده فماتوا صغاراً فليسوا من الرجال"[1]،ونبينا المصطفى عليه أفضل الصلوات والتسليم هو والد كل واحد منا في مقام القدوة والوقار.

ولذلك استدرك النص القرآني بقوله تعالى: (ولكن رسول الله) يقول ابن عاشور:"(ولكن رسول الله) لرفع ما قد يُتوهم مِن نفي أبوته، من انفصال صلة التراحم والبِرّ بينه وبين الأمة، فذُكِّروا بأنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهو كالأب لجميع أمته في شفقته ورحمته بهم، وفي برّهم وتوقيرهم إياه، شأن كل نبي مع أمته ." [2] "وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم . ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة، فكان حكمه حكمكم"[3].

وهذا الإخبار فيه إعجاز غيبي، فقد نزلت الآيات ثم أنجب النبي صلى الله عليه وسلم إبنه إبراهيم، وشاء الله تعالى أن لا ينجب النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية –عدا إبراهيم– فتحقق وعد الله، وهذا كان من قبيل معجزاته على صدقه فـإن المخبر عنه قد حصل كما أخبر وقد صدق الخبر . [4]

المطلب الثاني: إخبار الله عز وجل بأن محمداً صلى الله عليه وسلم سيكون خاتم النبيين

إنَّ معنى خاتم النبيين أي آخرهم[5]، وقرئت بالكسر (خاتِم)[6] إي ختم به النبيين . [7]، وتقويه قراءة ابن مسعود [8]: ولكنّ نبياً ختم النبيين [9] . "وقد أجمع الصحابة على أن محمداً (صلى الله

---

[1] ابن جزي، **التسهيل في علوم التنزيل**، 139/3، وانظر، الزمخشري، **الكشاف**،3 \553.الالوسي، **روح المعاني**، 22\30.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 22\44، وانظر، البقاعي، **نظم الدرر**، 6\111.

[3] الزمخشري، **الكشاف**، 3\553.

[4] انظر، الخلوتي، **روح البيان**، 143/7.

[5] انظر، السمعاني، **تفسير السمعاني**، 4\290.

[6] انظر، ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبي زرعة، **حجة القراءات**، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط2 \1402 – 1982)، 578/1.

[7] انظر، النحاس، **معاني القرآن**، 5\356.السمعاني، **تفسير السمعاني**، 4\290.الشوكاني، **فتح القدير**، 4\406.

[8] ابن خالويه، **مختصر في شواذ القرآن**،121.

[9] انظر، الزمخشري، **الكشاف**،3\553.

عليه وسلم) خاتم الرسل والأنبياء وعُرف ذلك وتواتر بينهم وفي الأجيال من بعدهم"[1] فمن الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل ابتنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع اللبنة، فأنا موضع اللبنة حتى ختم بي الأنبياء "[2]

وقد مرت القرون منذ وفاته عليه السلام، إلى عصرنا الحاضر، ولم يأت بعده نبي، وكل من جاء مدعيا للنبوة فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، وإن أتى بأنواع السحر والطلاسم كما أجرى الله سبحانه وتعالى، على يد الأسود العَنْسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب مَنْ جاء بها. وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، وتحقيقا لوعد الله تعالى أنَّ نبيه محمد اً صلى الله عليه وسلم هو آخر المرسلين[3] .

والجمع بين هذين الإخبارين الغيبيين في سياق واحد، له مدلول ومعنى أشار إليه البقاعي حيث يقول :" ولو قضي أن يكون بعده نبي لما كان إلا من نسله إكراماً له لأنه أعلى النبيين رتبة وأعظم شرفاً، وليس لأحد من الأنبياء كرامة إلا وله مثلها أو أعظم منها، ولو صار أحد من ولده رجلاً لكان نبياً بعد ظهور نبوته، وقد قضى الله ألا يكون بعده نبي إكراماً له "[4]، ثم استشهد بما ورد ورد في البخاري من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال :" لو قضى أن يكون بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي لعاش ابنه، ولكن لا نبي بعده "[5] .

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 22\45.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، بَاب خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صلى الله عليه وسلم، رقم 3،3342/1300، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، بَاب ذِكْرِ كَوْنِهِ صلى الله عليه وسلم خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، رقم 2286، 4/1791.

[3] انظر، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 3\495.

[4] البقاعي، **نظم الدرر**، 6\112.

[5] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، بَاب من سَمَّى بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وقال أَنَسٌ قَبَّلَ النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم يَعْنِي ابْنَهُ، رقم، 5841 ،5/2289.

المبحث الحادي عشر

إعجاز القرآن في الإخبار عن الغيب تحديهم أن يأتوا بمثله

قاله سبحانه :

(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)

(البقرة : ٢٣ . ٢٤).

وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن، فقال في سورة القصص: **{ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }** [القصص: 49] وقال في سورة الإسراء: { **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** } [الإسراء: 88] وقال في سورة هود: { **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** } [هود: 13]، وقال في سورة يونس: { **وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** } [يونس: 37، 38]

دلالة الإعجاز الغيبي في الآيات

إن المتأمل في الآيات السابقة يرى مقدار التحدي وعظمته، ونزلت هذه الآيات بوجود العرب الأقحاح، وجاء القرآن بتحديهم بصيغ مستثيرة للهمم، يقول القرطبي " وفي قوله : { ولن تفعلوا } إثارة لهممهم وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك أبدع وهذا من الغيوب التي أخبر بها القرآن قبل وقوعها"[1].

[1] القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، 1\276.

إن هذا الوعد الإلهي الجازم بعدم قدرة مخلوق أن يأتي بمثل هذا القرآن أو حتى بمثل سورة منه، فيه إعجاز غيبي واضح، ومن ذلك قوله تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) في هذه الآية دلالة على الإعجاز الغيبي من وجوه أربعة :

الأول : توفر دواعي معارضة، إي إنَّ العرب كانوا في غاية العداوة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي غاية الحرص على إبطال أمره، لأن مفارقة الأوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من أقوى ما يدل على ذلك، فإذا إنضاف إليه مثل هذا التقريع وهو قوله تعالى فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فلو كان في وسعهم وإمكانهم الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه لأتوا به[1].

ولا يخفى كم كانت ولا زالت دواعي معارضة القرآن الكريم موجودة في نفوس الكافرين، يقول الألوسي في تفسير هذه الآية : "وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به سبحانه وقد وقع الأمر كذلك، كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه لتناقله الرواة لتوفر الدواعي؟ وما أتى به نحو مسيلمة الكذاب مما تضحك منه الثكلى لما يقصد به المعارضة وإنما ادعاه وحياً" [2]

الثاني : يتحقق الإعجاز الغيبي بما ثبت من عجز البشر عن الإتيان بمثله، من لحظة نزول القرآن إلى هذه الأيام، يقول الرازي في إثبات الإعجاز في هذه الآية : " أنه وجد مخبر هذا الخبر على ذلك الوجه لأن من أيامه عليه الصلاة والسلام إلى عصرنا هذا لم يخل وقت من الأوقات ممن يعادي الدين والإسلام وتشتد دواعيه في الوقيعة فيه ثم إنه مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة قط"[3]، واعتبرها ابن كثير معجزة وذلك بقول "وهذه –أيضًا–معجزة أخرى، وهو أنه أخبر أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبدا وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا ولا يمكن"[4].

وذكر ابن عاشور أن التحدي في هذه الآية من وجوه الإعجاز الغيبي، جاء في تفسيره :" أما الثانية : فهي أنه أخبر بأنهم لا يأتون بذلك في المستقبل، فما أتى أحد منهم ولا ممن خلَفهم بما يعارض القرآن، فكانت هذه الآية معجزة من نوع الإعجاز بالإخبار عن الغيب مستمرة على تعاقب

---

[1] انظر،الرزاي، **مفاتيح الغيب**، 2\111.الزرقاني، **مناهل العرفان**،2\372.

[2] الألوسي، **روح المعاني**، 198/1.

[3]الرزاي، **مفاتيح الغيب**، 2\111.

[4] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 1\61.

السنين ، فإن آيات المعارضة الكثيرة في القرآن قد قرعت بها أسماع المعاندين من العرب الذين أبوا تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم، وتواترت بها الأخبار بينهم وسارت بها الركبان بحيث لا يسع ادعاء جهلها، ودواعي المعارضة موجودة فيهم.[1]

الثالث : ما عرف من قدرة العرب في التصرف بالكلام، وهم أهل اللغة والفصاحة، يقول ابن جزي في قوله تعالى (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) :"هو إخبار ظهر مصداقه في الوجود، إذ لم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن، مع فصاحة العرب في زمان نزوله، وتصرفهم في الكلام، وحرصهم على التكذيب، وفي الإخبار بذلك معجزة"[2] .

الرابع : ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحدى بمثل هذا التحدي على مر العصور من ذاته، إلا إن كان ما جاء به وحيا من عند علام الغيوب، يفصل ذلك الرازي بقوله:"أنه عليه السلام وإن كان متهماً عندهم فيما يتصل بالنبوة، فقد كان معلوم الحال في وفور العقل والفضل والمعرفة بالعواقب، فلو تطرقت التهمة إلى ما ادعاه من النبوة لما استجاز أن يتحداهم، ويبلغ في التحدي إلى نهايته، بل كان يكون وجلاً خائفاً مما يتوقعه من فضيحة يعود وبالها على جميع أموره حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم، فلولا معرفته بالاضطرار من حالهم أنهم عاجزون عن المعارضة لما جوز من نفسه أن يحملهم على المعارضة بأبلغ الطرق"[3] .

ويحقق دراز –رحمه الله– هذا المعنى إذ يقول : " فانظر هذا النفي المؤكد ، بل الحكم المؤبد ، هل يستطيع عربي يدري ما يقول أن يصدر هذا الحكم ... ثم لو طوعت له نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره فكيف يصدره على الأجيال القادمة إلى يوم القيامة ، بل على الإنس والجن ؟ إنَّ هذه مغامرة لا يتقدم إليها إلا رجل يعرف قدر نفسه، إلا وهو مالىء يديه من تصاريف القضاء ، وخبر السماء . وهكذا رماها بين اظهر العالم ، فكانت هي القضاء المبرم سلط على العقول والأفواه، فلم يهم بمعارضته إلا باء بالعجز الواضح ، والفشل [4] الفاضح ، على مر العصور والدهور."[5]

---

[1] انظر، ابن عاشور،**التحرير والتنوير**، 1\343-344.

[2] ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، 1\24 .

[3] الرزاي، **مفاتيح الغيب**،2\111. وانظر، الزرقاني، **مناهل العرفان**،2\372-373.

[4] الأصوب أن يقال هنا الاخفاق، لأن الفشل هو الجبن، انظر ، ابن منظور، لسان العرب،11\520.

[5] دراز، **النبأ العظيم** 45/1.بتصرف.

المبحث الثاني عشر

استعمال حرف السين للإخبار عن المستقبل

من المعلوم في اللغة أن حرف السين إذا دخل على الفعل المضارع فإنه يفيد التوكيد مع الاستقبال، جاء في كتاب البلاغة العربية للميداني " ويزادُ للتأكيد حرفا الاستقبال، وهما: "السين – وسوف" إذْ هما لتأكيد معنى الاستقبال في الفعل المضارع."[1]

"والفرق بين دخول السين على المضارع، وبين استخدام (سوف)، أنه إذا أريد الدلالة على المستقبل المثبت جاز استعمال السين إذا كان المستقبل قريبًا، أو سوف إذا كان المستقبل بعيدًا.[2]"

ومن الأمثلة على استخدام حرف السين للتأكيد على ما سيكون في المستقبل :

المثال الأول : الإخبار عن المنافقين بأنهم سيحلفون

قال تعالى :

(لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (التوبة : 42)

يقول تعالى موبخا للذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وقعدوا بعد ما استأذنوه في ذلك مظهرين أنهم أصحاب أعذار ولم يكونوا كذلك ، فقال: (لو كان عرضا قريبا)أي غنيمة قريبة (وسفرا قاصدا) ، أي قريبا أيضا (لاتبعوك) أي لكانوا جاءوا معك لذلك (ولكن بعدت عليهم الشقة) ، أي المسافة إلى الشام (وسيحلفون بالله) ، أي لكم إذا رجعتم إليهم (لو استطعنا لخرجنا معكم) ، أي لو لم يكن لنا أعذار لخرجنا معكم قال الله تعالى (يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون)[3]

---

[1] الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، **البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها** ، دار القلم، دمشق، (ط 1416/1 هـ – 1996)، 108/2.

[2] عمر، د. أحمد مختار، **أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين** ، عالم الكتب، القاهرة، (ط 1992/2م)، 167.

[3] انظر، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 2\361، وانظر، ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، 2\76.

وجه الإعجاز الغيبي في حلفان المنافقين

ذكر الله تعالى من أخبار المنافقين أنهم سيحلفون، وكان هذا الإخبار قبل قدومهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم متحججين بالأعذار مقسمين بالله على ذلك [1]، ودخول السين يؤذن بأنّ الآية نزلت قبل الرجوع من غزوة تبوك، فإنّ حلفهم إنّما كان بعد الرجوع وذلك حين استشعروا أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام ظانٌ كذبَهم في أعذارهم [2]. ولذلك استخدم القرآن الكريم حرف السين هنا، والسين إذا دخلت على الفعل المضارع، فإنها تفيد الاستقبال والتوكيد .[3]

فأخبر الله تعالى بأنه م سيحلفون، وجزم في ذلك باستخدام حرف السين فتحقق الإعجاز الغيبي بمجيئهم حالفين بعد نزول الآيات، وكانوا بضعة وثمانين، كما في قصة كعب بن مالك حيث قال :" جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إليه وَيَحْلِفُونَ له وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ منهم رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لهم وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إلى اللَّهِ " [4]

يقول الإمام الرازي مثبتا وجه الإعجاز الغيبي في هذه الآيات :" قالوا الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر عنهم أنهم سيحلفون، وهذا إخبار عن غيب يقع في المستقبل، والأمر لما وقع كما أخبر، كان هذا إخباراً عن الغيب، فكان معجزاً. والله أعلم ." 5

ومن بلاغة الإعجاز أنَّ المنافقين حلفوا، ولو أنهم لم يحلفوا لأبطلوا آية في كتاب الله تعالى، ولستروا على أنفسهم وهذا ما أشار إليه الشعرواي :" واستخدام حرف السين هنا يعني أنهم لم يكونوا قد قالوها بعد، ولكنهم سيقولونها في المستقبل، ... ولو أنهم تنبهوا إلى ذلك لامتنعوا عن

---

[1] انظر، النسفي، **تفسير النسفي**، 90/2.

[2] انظر، ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 10\209.الشعراوي ، **تفسير الشعراوي**، 5146/8.

[3] انظر، السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 475/2، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر،594/2.

[4] أخرجه البخاري، **صحيح البخاري** :كتاب التفسير، بَاب حَدِيثُ كَعْبِ بن مَالِكٍ وَقَوْلُ اللَّهِ عز وجل (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا)، 4،4156\1605.

[5] الرازي، **التفسير الكبير**،59/16، وانظر الحنبلي، أبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان،(ط 1 1419 هـ – 1998 م)، 101/10.

الحلف . ولقالوا : إن القرآن قال سنحلف، ولكننا لن نحلف . ولكن الله أعماهم فحلفوا وهكذا يأتي خصوم الإسلام ليشهدوا – رغم أنوفهم – للإسلام."[1]

وتكرر مثل هذا الإخبار في السورة نفسها ، وذلك في قول الله تعالى :(**سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**)(التوبة : 94)، ثم جاءوا يحلفون تماما كما أخبر الله تعالى عنهم، وقد ذكر هذه الآية ابن كثير حين سرد أمثلة على غيبيات وقعت، كما اخبر الله تعالى، يقول ابن كثير في هذا الإخبار:"وهكذا وقع، لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك كان قد تخلف عنه طائفة من المنافقين، فجعلوا يحلفون بالله لقد كانوا معذورين في تخلفهم، وهم في ذلك كاذبون، فأمر الله رسوله أن يجري أحوالهم على ظاهرها، لا يفضحهم عند الناس".[2]

ومن تلك الأمثلة على ذلك أيضا في قوله تعالى : (**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**)(البقرة :142)

نزلت هذه الآية في المدنية، وقبل أن يتكلموا بشأن تغيير القبلة، ويشير الشعراوي إلى وجه الإعجاز الغيبي في هذه الآية بقوله : "ولقد نزلت هذه الآية الكريمة قبل أن يقولوا ، بدليل استخدام حرف السين في قوله : (سيقولُ)، ووصفهم الله جل جلاله بالسفهاء، ومع ذلك فقد قالوا ، ولو أن عقولهم تنبهت لسكتوا ولم يقولوا شيئا ، وكان في ذلك تحدٍ للقرآن الكريم، كانوا سيقولون لقد قال الله سبحانه وتعالى : { **سَيَقُولُ السفهآء مِنَ الناس** }، ولكن أحدا لم يقل شيئا فأين هم هؤلاء السفهاء ولماذا لم يقولوا؟ وكان هذا يعتبر تحديا للقرآن الكريم في أمر يملكون فيه حرية الاختيار، ولكن لأن الله هو القائل والله هو الفاعل، لم يخطر ذلك على بالهم أبدا، وقالوا بالفعل ."[3]

---

[1] الشعراوي، **تفسير الشعراوي** ،5145/1، بتصرف.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، **البداية والنهاية** تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي،(ط1\ 1408 هـ-1988 م)، 6\204.

[3] الشعرواي، **تفسير الشعراوي** ،624/1.

وإخبار الله تعالى عن حالهم قبل وقوعه في ه فائدةأشار إليها الزمخشري بقوله "فإن قلت: أي فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجأة المكروه أشد والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه" .[1]

[1] الزمخشري، **الكشاف**، 1\224، وانظر الالوسي، **روح المعاني**، 2\2

المبحث الثالث عشر

الإخبار بحل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى :

(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ) (البلد: 4)

نزلت هذه السورة بتمامها في مكة [1]

وأجمع المفسرون على أنّ المقصود بهذا البلد هو مكة المكرمة.[2]

وقد اخُتلف في المراد بحل هل هو من الإحلال بالمكان، أو هو من التحلل ضد الإحرام ؟

وقد اختلفوا على وجوه أربعة:

الأول : معنى أنت حال بهذا البلد، أي ساكن لأن السورة نزلت والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قاله الحسن وعطاء [3].

فيكون هنا معنى حل أي من الحلول في المكان، حل أي نزل يحل حلا وحلولا ويقال أيضا هو حل بموضع كذا[4] .

الثاني: معنى حل، أي تُستَحل حرمتك ويؤذيك الكفار، مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل لا أقسم يعني لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية.[5]

"ويكون معنى الحل هنا بمعنى الحلال، أي أن الكفار يحترمون هذا البلد، ولا ينتهكون فيه المحرمات، ثم إنهم مع ذلك ومع إكرام الله تعالى إياك بالنبوة ، يستحلون إيذاءك، ولو تمكنوا منك

---

[1] انظر، الطبري، **تفسير الطبري**، 30\193. الشوكاني، **فتح القدير**، 5\442. النسفي، **تفسير النسفي**،4\339.ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**،4\512. السيوطي، **الدر المنثور**، 8\516.

[2] انظر، ابن أبي حاتم، **تفسير ابن أبي حاتم**، 10\3432.الرازي، **مفاتيح الغيب**، 31\163.

[3] انظر، القرطبي، **تفسير القرطبي**، 20\61.ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، 4\199. ابي السعود، تفسير ابي السعود، 9 \160.

[4] انظر، **لسان العرب**،163/11.والالوسي، **روح المعاني**، 30\134.

[5] انظر، البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، 5\492، وابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، 4\199.

لقتلوك، فأنت حل لهم في اعتقادهم، لا يرون لك من الحرمة ما يرونه لغيرك... وفيه تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة".[1]

الثالث : أي حلال له ما يفعل بمكة غير آثم، بينما هم آثمون بفعلهم قاله قتادة.[2]

الرابع: معنى حل، أي حلال لك أن تقاتل في هذا البلد، وتصنع فيه ما تريد من القتل والأسر أحلت له مكة ساعة من النهار يوم الفتح حتى قاتل وقتل ما شاء ولم يحل لأحد قبلك قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والضحاك وتابعهم جماهير المفسرين[3].

وفائدة القسم هنا جاء لتثبيت وتسلية فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر أبو السعود "وجاء القسم هنا لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحه وذلك أن الله تعالى فتح عليه مكة وأحلها له"[4]

ويتبين بعد تحقيق الأقوال، أن الراجح هو ما ذهب إليه معظم المفسرين، القائل بأن معنى حل، أي أنها أحلت للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار في فتح مكة وتفصيل ذلك ما يلي:

أنَّ أصحاب الآراء السابقة، حين رجحوا أقوالهم اعتبروا بأمرين، وهما ما تحتمله كلمة حل من معان، والثاني فائدة القسم مع السياق.

ويتبين أن اللغة العربية تحمل المعاني الأربعة لكلمة (حل)، فبقي النظر في فائدة القسم.

فالذين قالوا بأن معنى (حل)، أي مُستحل فيه حرمة النبي، نظروا إلى سياق الآيات، وقالوا أنها جاءت معترضة بين القسم وجوابه، وجواب القسم هو (لقد خلق نا الإنسان في كبد)، أي في مشقة وتعب، وهذا ما عاناه النبي صلى الله عليه وسلم من استحلال لدمه في البلد الذي يقدسون حرمته.

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 31\163.بتصرف.

[2] انظر، الطبري، **تفسير الطبري**،30\194،ابن أبي حاتم، **تفسير ابن أبي حاتم** ، 10\3432، والقرطبي، **تفسير القرطبي**، 20\61.الشنقيطي(ت:1973م)، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، أضواء **البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (1415هـ – 1995م)، 8\530.

[3] انظر، الطبري، **تفسير الطبري**،30\194. الواحدي، تفسير الواحدي،. البغوي، **معالم التنزيل**،4\488. 2\1203السمعاني، **تفسير السمعاني**، 6\225. ابن عطية، **المحرر الوجيز**،5\483

[4] أبي السعود، **تفسير ابي السعود**،9\160.بتصرف.

يقول أبو السعود عند ذكره لفائدة القسم هنا:"للتنبيه من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال، وبيان أنه عليه الصلاة والسلام، مع جلالة قدره وعظم حرمته، قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا"[1]

ويظهر أن هذه الفائدة تكون أقرب إلى السياق، إن فُسر معنى حل بأن مكة أُحلت للنبي صلى الله عليه وسلم يفعل بها ما يشاء، لأن بين نزول الآيات وبين فتح مكة جرت أحداث عظيمة وشاقة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، من تهجير ومعارك ومحاولات لقتله وإنهاء دعوته، وما عاناه وكابده النبي صلى الله عليه وسلم من تجهيز الجيوش وإقامته دولته ونشر دعوته.

فالمشقة بين نزول الآيات حتى فتح مكة، لا تقل عن تلك المشقة في مكة حيث كانت منصبة على شخصه عليه السلام وعلى مجموعة من الصحابة في بدايات دعوته، وكلاهما مشقة لا يستهان بها.

ومن قال بأن معنى حل أي حلال ما تفعله بمكة وغيرك آثم، قالوا بأنَّ فائدة القسم هنا التأكيد على شناعة فعل الكفار من أهل مكة، يقول في ذلك الألوسي:" وأنت حل بهذا البلد مما يقترفه أهله من المآثم، متحرج بريء منها والمعنى في الأقسام بالبلد تعظيمه، وفي الاعتراض ترشيح التعظيم والتشريف بكون مثله صلى الله تعالى عليه وسلم في جلالة القدر، ومنصب النبوة ساكنا فيه مباينا عليه الغاغة [2] والهمج، والفائدة فيه تأكيد المقسم عليه بأنهم من أهل الطبع فلا ينفعهم شرف مكان، والمتمكن فيه كأنه قيل أقسم بهذا البلد الطيب بنفسه، وبمن سكن فيه أن أهله لفي مرض قلب وشك"[3]

وهذه الفائدة أيضا فيها إشارة إلى أن أمثال الكفار لا يستحقو ن أن يسكنوا بلدا مثل مكة، وأن من يستحقها هو من كان فعله وقوله فيها حلالاً وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وشاء الله تعالى أن يستبدل محمدا صلى الله عليه وسلم ومن معه بكم وكان ذلك يوم الفتح.

---

[1] أبو السعود، **تفسير أبي السعود**،9\160.

2 أصل الغوغاء الجراد حين يخف للطيران ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر،ابن منظور، **لسان العرب**، 444/8.

[3] الالوسي، **روح المعاني**، 30\134.

ومن قال بأن معنى حل أي ساكن، أولوا فائدة القسم هنا، بأن الله سبحانه أقسم بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول صلى الله عليه وسلم، فيه إظهارا لمزيد فضله لأن شرف المكان بشرف أهله.[1]

وبلا شك أن القسم بمكة المكرمة ثم ذكر حلول النبي بها، فيه من التشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وللبلد أيضا، وهذا المعنى لا يتعارض مع الرأي القائل بأن حل هنا بمعنى أحلها الله تعالى له يفعل بها ما يشاء.

وما يعزز هذا الرأي الأدلة الآتية:

1 - ما تحتمله كلمة حل في اللغة العربية، جاء في لسان العرب " و الحل : الرجل الحلال الذي خرج من إحرامه"[2]، والى هذا المعنى ذهب معظم المفسرين.

2 - أن كلمة حل هنا جاءت للاستقبال، لا للماضي، وهذا ما أكده الزمخشري حيث يقول:" أين نظير قوله (وَأَنتَ حِلٌّ) في معنى الاستقبال ؟ قلت : قوله عزّ وجل (إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيّتُونَ) (الزمر : 30) ومثله واسع في كلام العباد، تقول لمن تعده الإكرام والحباء [3] : أنت مكرم محبو، وهو في كلام الله أوسع ؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة . وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال، وأن تفسيره بالحال محال : أن السورة بالاتفاق مكية، وأين الهجرة عن وقت نزولها، فما بال الفتح ؟ ".[4]

3 - ما ثبت تاريخيا في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه دخل مكة وفتحها، وكان ذلك في العام الثامن للهجرة، وأنه استحل دماء جماعة من أهل مكة حتى وان كانوا متمسكين بأستار الكعبة مثل عبد الله بن خطل الذي ضرب أبو برزة الاسلمي عنقه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم[5].

---

[1] انظر، السمعاني، **تفسير السمعاني**، 6\225. ابن عطية، **المحرر الوجيز**،5\483.**البيضاوي**، **تفسير البيضاوي**، 5\492.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، 11\166.

[3] حابى الرجل حباء، أي نصره واختصه لنفسه، ابن منظور ، لسان العرب، 14\163.

[4] الزمخشري، **الكشاف**، 4\758.

[5] ابن هشام (ت:218هـ)، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، **السيرة النبوية**، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ،(ط1\ 1411هـ)، ،5\69.

4- قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه ابن عباس رضي الله عنهما قال:" عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حَرَّمَ الله مَكَّةَ فلم تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ولا لِأَحَدٍ بَعْدِي، أُحِلَّتْ لي سَاعَةً من نَهَارٍ ، لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا ولا يُعْضَدُ شَجَرُهَا ولا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا ولا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إلا لِمُعَرِّفٍ[1]"[2]

5- أَنَّ ذلك هو رأي جمهور المفسرين كما سبق.

وبهذا العرض السابق يتحقق وجه الإعجاز الغيبي في سورة البلد، حيث ذكر الله تعالى بأنه سيحل مكة المكرمة لنبيه وكان ذلك الوعد في مكة المكرمة قبل الهجرة ، ثم تحقق وعد الله تعالى كما أخبر حينما دخلها فاتحا ومستحلا لها في العام الثامن للهجرة.

---

[1] لا ينفر صيدها لا يزعج ولا يحرك عن موضعه، ولا يختلي خلاها، والخلا مقصور الحشيش الرطب واحدته خلاة، ويختلي يجز ويقطع، ولا يعضد شجرها العضد قطع الشجر بالمعضد، والمعضد حديدة كالسيف تستعمل في قطع الشجر ، انظر، أبا الفتوح، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن بن يصل الأزدي، **تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم**، مكتبة السنة، القاهرة، مصر،(ط1/ 1415 – 1995)، 1/140-141.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، بَاب الْإِذْخِرِ وَالْحَشِيشِ في الْقَبْرِ،30، 1284\134.

المبحث الرابع عشر

أمثلة الإعجاز العلمي

قال تعالى :

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت: 53).

لقد أخبر الحق تبارك وتعالى أنه سيُري الناس جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم، سيريهم آياته في هذا الكون، وفي أنفسهم، واستعمل حرف (السين) للدلالة على المستقبل.

إنَّ القرآن الكريم هو كتاب هداية للعالمين في المقصد الأول، ومع هذا فقد احتوى على الكثير من أساسيات العلوم ، وفيه الكثير من الحقائق العلمية التي كانت في عالم الغيب، ثم تطورت الإنسانية لا سيما في القرن الماضي تطورا ملحوظا، فمع هذا التطور وما رافقه من الأبحاث والدراسات والتنقيبات والاكتشافات ، كان كتاب الله تعالى يسبق البشرية بما فيه من علوم ثم يأتي العلم الحديث مقرا مذعنا لما في القرآن الكريم من حقائق.

ولم يدرك القدماء تمام المقصد منها، فحملوها على معناها الظاهر، والعجيب أنها احتملت كلا المعنيين، فهو كتاب الله تعالى الذي لا تنقضي عجائبه.

وتم إدراج الإعجاز العلمي في هذه الرسالة، لأنه جزء من الإعجاز الغيبي، فما أنزله الله تعالى على نبيه الأمي من حقائق علمية قبل قرون كان في عالم الغيب، بالنسبة لمن عاشوا في تلك الأزمان، ثم كشف ستار الغيب عن بعض ما جاء به القرآن الكريم.

فعلى هذا يكون كافة أمثلة الإعجاز العلمي، مندرجة بتمامها في موضوع الإعجاز الغيبي، ولا مجال لحصرها، فالمقام لا يتسع.

الفصل الثالث

الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي دراسة تحليلية نقدية لأهم أمثلته

إنَّ القرآن الكريم قد احتوى على أنواع عدة من الإعجاز، ومن وجوه إعجازه التي قال بها معظم العلماء إخباره عن الغيبيات، ويتفرع منها قسمان وهما : الإخبار عن المستقبل، والإخبار عن الماضي الذي هو عنوان هذا الفصل .

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: كيفية الوقوف على الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي

المبحث الثاني : دراسة تحليلية نقدية لأهم أمثلته

المبحث الأول

كيفية الوقوف على الإعجاز الغيبي بالإخبار عن الماضي

المقصود بأخبار الماضي، هو ما جاء في القرآن الكريم من قصص وأحداث منذ أن بد أ الله تعالى الخلق، وما احتواه من قصص الأنبياء مع أقوامهم ، وعن قصص الصالحين وكراماتهم، والإخبار عن أحداث جرت مع أقوام وأفراد في الزمان الغابر، وعن أهل الكتاب وبعض شرائعهم، فجاء القرآن الكريم ومزق حجاب الماضي وذكرها .[1] وهي تعتبر غيباً لنا، لأنا لم نشاهدها ولم نعاصرها وقد حصلت في الماضي وانتهت.

والقرآن الكريم صريح في اعتبار قصص السابقين من عالم الغيب، فقد قال الله تعالى بعد ذكره لقصة مريم والأحداث التي جرت معها :(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) (آل عمران : 44)، وعقب بنحو ذلك بعد قصة يوسف وقصة ثمود.[2]

ويعد القرآن الكريم أصدق شاهد تاريخي، لأن الله تعالى تكفل بحفظه، وهو آخر الكتب السماوية، وما جاء من مقارنات للأحداث التاريخية بينه وبين الكتب السابقة، تشهد على صحة ما جاء فيه .

وتتحقق دلالة الأخبار الغيبية في القرآن الكريم على الإعجاز من وجوه خمسة وهي :

الأول : أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى (**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** (48)) (العنكبوت : 48) أي لو كنت تحسن الكتابة لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول إنما تعلم هذا من كتب الأنبياء السابقة، وهم مع ذلك قالوا { **وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا** } [الفرقان: 5] مع علمهم بأميته [3] .

---

[1] انظر، رضا، **تفسير القرآن الحكيم**، 169/1-170.

[2] انظر، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مع قصص السابقين في القرآن**، دار القلم،دمشق، ط5، 2007م،32/1.

[3] انظر، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 418/3.

لقد عاش الرسول صلى الله عليه وسلم ومات أميا لا يقرأ ولا يكتب، ونشأ في محيط جاهلي أبعد ما يكون عن العلم والاطلاع على تاريخ الأمم السابقة وكتب هم، وكل من حاول أن يطعن في أميته، أو الادعاء بأنه صلى الله عليه وسلم خالط من لهم علم من أهل الكتاب، ما وجد إلا حججاً بالِيةً وشبهات لا تقوم على أسس .

إنَّ أمية الرسول صلى الله عليه وسلم دليل يقطع على المشككين في القرآن الكريم أول الطريق، فلو لم يكن النبي عليه السلام أميا، لما كان لهم حجة في قولهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم أطلع على أخبار أهل الكتاب، يقول أحمد ديدات :"لم يُتَرجم الإنجيل إلى اللغة العربية، حتى القرن العاشر الميلادي، ولذلك فليس هناك أي عربي، حتى سنة 1000م، لديه الفرصة لفحص الكتابات المسيحية الإنجليزية بلغته العربية ".[1]

والقول بأن أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، دلالة على صدق أخبار القرآن الكريم ، أشار إليه الباقلاني [2]والقاضي عياض[3] والفخر الرازي [4]وغيرهم، وذكر القرطبي عند تعداده لوجوه إعجاز القرآن، أن منها ما جاء فيه من إخبارات غيبية لا يمكن أن يطلع عليها أمي، حيث يقول :" ومنها: الإخبار عن الأمور التي في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمي [5]، ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها والقرون الخالية في دهرها...فجاءهم وهو أمي من أمة أمية ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته فتحققوا صدقه"[6]

الثاني : أن القرآن الكريم يتحدث عن الأخبار الماضية حديث الجازم المتأكد، ويأتي بأدق التفاصيل وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد شاهدها بعينه أو درسها، ثم نقلها لنا، ويأتي الواقع

---

[1] ديدات، احمد، **القرآن معجزة المعجزات**، ترجمة :علي عثمان، المختار الاسلامي، 22.

[2]انظر، الباقلاني، إعجاز القرآن، 1\48 -49

3 انظر، عياض القاضي،،الشفا بتعريف حقوق المصطفى،.203/1.

4 انظر، الرازي: مفاتيح **الغيب 119/14.**

[5] المعنى أنها نزلت على أمي، ولكن أوردها هنا لنقض شبهات من قال أن القرآن من عند محمد صلى الله عليه وسلم.

[6] القرطبي،،**الجامع لأحكام القرآن**،74/1.

يوماً بعد يوم يكشف عن صدق كل ذلك.[1]، يقول سعيد حوى :" إن دارس القرآن العظيم لا يمكن أن يتصور أن ما فيه صادر عن جهل، بل يرى أنه لا بد صادر عن علم محيط، وهناك سر المعجزة . ولذلك قال الكافرون : تعلم محمد ودرس . وإذ يثبت التاريخ أن محمداً لم يدرس ولم يتعلم، والقرآن كله حكمة وعلم فليس هناك مصدر إلا الوحي" [2] ويضيف أيضا "إنه ما من شيء تحدث عنه القرآن في الماضي إلا وكانت وقائع التاريخ القديم ونصوصه وحفرياته تؤديه من أدق التفصيلات"[3].

الثالث : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر ويشيع هذه الأخبار بحجمها وتفاصيلها الواردة من ذاته، فأعداؤه يتربصون به، وينتظرون أدنى ثغرة ليتمكنوا من دينه ودعوته.

الرابع : الآيات الكريمة التي نفت علم النبي عليه السلام بمثل هذه الأخبار كقوله تعالى : " (تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (هود :49)،(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) (ال عمران :44)، (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ) (يوسف:102)، (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) (القصص : 44-45) فجاءت هذه الآيات تنبيها على برهان نبوة محمد، صلوات الله وسلامه عليه، حيث أخبر بالغيوب الماضية، وكأن سمعها وشاهدها، وهو رجل أمي لا يقرأ شيئا من الكتب، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك.

---

[1] انظر، الباقلاني، **إعجاز القرآن**، 1\48 -49.

[2] حوى، سعيد بن محمد ديب (ت:1409هـ)، **الرسول صلى الله عليه وسلم**، دار عمار، بيروت، عمان،2002، 255.

[3] حوى، **الرسول صلى الله عليه وسلم**، 279 .

الوجه الخامس : إن القرآن الكريم يتحدث عن بعض تلك المغيبات تحديا وإجابة لسؤال أهل الكتاب: أحبارا ورهبانا، كما سألوه عن الروح وأهل الكهف وذي القرنين فأجابهم عما سألوا بما أوحى الله تعالى إليه القرآن، وهم يعلمون أنه غيب بالنسبة إليه ليست لديه وسيلة عادية للعلم به.. ومع ذلك فإنه لم يؤثر عنهم أنهم كذبوه في شيء مما أخبرهم به .. بل هو الذي كان يكذبهم فيما حرفوه ويرشدهم إلى حقيقة ما بدلوه.[1]

[1] انظر، خبيزة، محمد يعقوب خبيزة، مقال بعنوان (إعجاز الكريم بإخباره عن الأمور الغيبية)، مجلة دعوة الحق، العدد 2،337 جمادى 1-1419هـ-1998 م.

المبحث الثاني

دراسة تحليلية نقدية لأهم أمثلته

لقد احتوى القرآن الكريم على الكثير من قصص الأنبياء والصالحين، واحتوى على أحداث حصلت مع الأمم السابقة، فقد ذكر لنا القرآن الكريم، قصّة آدم عليه السّلام وخروجه من الجنّة، وقصّة ابنَي آدم عليه السّلام، وقصّة نوح عليه السّلام وما عاناه مع قومه وما حدث لقومه من هلاك بالطوفان، وهود عليه السّلام وقومه عاد، وكيف أنّ الله تعالى أهلكهم بالصيحة، وصالح عليه السّلام وقومه ثمود وقَتْلهم الناقة التي أكرمهم الله تعالى بها، وكيف أن الله تعالى أهلكهم بريح صرصر عاتية، وإبراهيم عليه السّلام وقصته وهو فتى وكيف هدم الأصنام ثم أنجاه الله تعالى من النار وقصّة بنائه الكعبة، وإسماعيل عليه السّلام وتسليمه لأمر الله تعالى، ولوط عليه السّلام وقومه، وذي القَرنَين وفتوحاته، ويعقوب عليه السّلام وصبره ويوسُف عليه السّلام واستقامته، وأيّوب عليه السّلام وابتلا ءه، وموسى وهارون عليهما السّلام وما جرى لهما مع فرعون وبني إسرائيل، ومريم وعيسى عليهما السّلام.

وفيما ي أتي سيتم التمثيل بمجموعة إخبارات تاريخية ماضية، ذكرها القرآن الكريم، ثم أثبت العلم والتاريخ صدقها، وتم اختيار هذه الأمثلة دون سواها، لوضوح دلالة الأبحاث الحديثة على صدقها، ولم يتم اختيار بعض الأمثلة مثل قصة طوفان نوح عليه السلام ، وأين رست سفينته، والمادة التي بنيت منها الأهرامات، لأن الأبحاث الحالية لم تصل إلى حد قاطع، ولم وتصبح من الحقائق.

المطلب الأول : ذكر لقب حاكم مصر

قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام :

(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) (يوسف : 43) ، (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ..)(يوسف : 50)،(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)(يوسف: 54).

وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام :

(وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (البقرة: 50)، **(وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**(الاعراف: 104)،**(ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)** (يونس : 75)، وورد فرعون[1] في القرآن الكريم 74 مرة[2]، وكلها قصدت فرعون الذي كانت قصته مع موسى عليه السلام.

وجه الإعجاز الغيبي في الآيات .

إن من الملفت للنظر تفريق الله عز وجل بين تسمية حاكم مصر في زمن يوسف عليه السلام، حيث لقبه بالملك، وبين تسميته في قصة موسى عليه السلام حيث أطلق القرآن الكريم عليه فرعون .

وهذا التفريق ما كان للعرب زمن النبي صلى الله عليه وسلم علم به أو دراية، فهم أبعد ما يكونون عن شؤون السياسة وتصاريف الحكم وعن تواريخ الأمم، حتى يستطيعوا أن يدركوا السر في التفريق بين لقب الحكام في كلا العصرين.

وإنَّ من الثابت أنَّ نزول يوسف عليه السلام إلى أرض مصر وحكمه كان قبل بعثة موسى عليه السلام بمدة طويلة، وذلك لقوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: (لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ

[1] وفرعون اسم أعجمي فقيل تفرعن فلان إذا تعاطى فعل فرعون كما يقال أبلس وتبلس ومنه قيل للطغاة الفراعنه والأبالسة .، انظر، الراغب الاصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، 377/1.

[2] انظر، عبد الباقي(ت:1967م)، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث، القاهرة،1364هـ،515.

قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ) (غافر : 34)، فالفراعنة لم يقولوا لن يبعث الله من بعده رسولا، إلا بسبب المدة الطويلة التي جاءت بعده، ولم يرسل فيها الله نبياً وكانت السُنَّة أن يرسل الله تعالى أنبياء بني إسرائيل على فترات متقاربة .

وبما أن بعثة موسى عليه السلام كانت في زمن فرعون مصر (رمسيس الثاني) [1] فلا شك أن يوسف عليه السلام كان في مصر قبل عصر الأسرة الثامنة عشرة ، أي قبل الفترة التي كان يستخدم لفظ فرعون على الحاكم وكان يطلق على حكام مصر لقب الملك، فيظهر بعد مراجعة التواريخ، أن الذين حكموا مصر في الزمن الذي عاش فيه يوسف عليه السلام، هم الهكسوس وهي قبائل عربية جاءت من الجزيرة العربية، واحتلت مصر، واستمر حكمها لفترات طويلة .[2]

ويؤكد ذلك ما عُثر عليه من أثر لأحد ملوك الهكسوس [3]، منقوشا عليه : (يعقوب حر) وتعني بالعربية (آل يعقوب) إشارة إلى تبوء احد بني إسرائيل الملك في ذلك العصر، وهذا يتناسب تاريخيا مع قدوم بني إسرائيل إلى مصر وحكم يوسف فيها.[4]

ويبني الدكتور صلاح الخالدي على هذه النتائج أن دخول بني إسرائيل كان زمن الهكسوس إذ يقول :" وبناءاً على هذا، يكون بنو إسرائيل قد دخلوا مصر زمن الهكسوس العرب، ويكون حكام مصر وقتها ملوكا عربا، ويكون يوسف عليه السلام وزيرا للملك العربي الذي حكم مصر، ويكون هذا هو السر في تكريم ملوك الهكسوس لبني إسرائيل، على اعتبار أنَّ كلا الفريقين جاءا من جنوب بلاد الشام، وأنهما ليسا من أهل البلاد الأصليين ."[5]

---

[1] انظر، بوكاي، موريس، **التوراة والانجيل والقرآن والعلم**، مكتبة مدبولي،(ط2\ 2004)، 266.

[2] انظر، برستيد، جيمس هرني، **تاريخ مصر من اقدم العصور الى العصر الفارسي** ، ترجمه الى العربية حسن كمال، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،1997، 180، وفلايكوفسكي، ايمانويل، عصور في الفوضى، من الخروج الى أخناتون، ترجمه الى العربية رفعت السيد، سينا للنشر، القاهرة، 1995م،83،.93.

[3] الهكسوس، لفظ يعني ملوك الرعاة، وهم خليطٌ من سلالات سامية وغير سامية، اندفعت من مكان أو أمكنة بعيدة وتقدمت بجموعها المختلطة للإغارة على مصر السفلى، فعبرت طريق سيناء، لكونه الطريق الميسور الوحيد للعبور في هذه المنطقة.انظر، المقريزي(ت: 856هـ)، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، **البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، 1\16.

[4]انظر، برستيد، تاريخ **مصر من اقدم العصور الى العصر الفارسي**،181.

[5] الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل وأحداث**، دار الفكر، دمشق، 1418-1998م،2/261-262.

وبعد ذلك قام المصريون بقيادة أحمس، (أحد أحفاد ملوك الفراعنة) بثورة وطنية، وطردوا الهكسوس من أرض مصر، وأعادوا الحكم إلى الفراعنة [1]، ويستنتج من هذا أن ثورة أحمس كانت أيضا ضد بني إسرائيل، حيث اعتبرهم عملاء للمستعمرين الهكسوس، وهذا هو السر وراء اضطهادهم من قبل فرعون .[2] وتسليط القرآن الكريم الضوء على هذه الحقبة بأنها كانت فترة تعذيب لقوم موسى من قبل الفراعنة فيه إخبار غيبي آخر .

وفي هذا التفريق إعجاز غيبي لا نجده في التوراة والإنجيل، حيث ورد في التوراة كلا الأسمين دون تفريق، جاء في التوراة "(وقال الرب لموسى. بكر من باكر وقف قدام فرعون وقل: هذا ما يقول إله العبرانيين. سرح جمعي لكي يخدموني ....)."[3]

أما لما تحدث عن حاكم مصر في عهد يوسف :

" فأرسل فرعون دعا يوسف فأخرجه من الحبس، وحلقوا رأسه، وغيروا خلقته، وأتى الى فرعون، فقال فرعون ليوسف:حلما رأيته..." [4]

يقول عدنان أوكطار المعروف باسمه المستعار هارون يحيى : "ومن إعجاز القرآن التاريخي كذلك أنه أَطلق لقب (مَلِك) على حاكم مصر في عهد يوسف، فقال تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ...} [يوسف: 43]. بينما أطلقت التوراة على نفس الحاكم لقب فرعون، والسبب في عدم إطلاق القرآن لقب (فرعون) على حاكم في مصر في عهد يوسف أن لقب برعو – وهو أصل لقب فرعون – لم يكن يُطْلَقُ على حاكم مصر نفسه في ذلك العصر، بل كان يعني (القصر الملكي)، ولم يبدأ إطلاق هذا اللقب على حاكم مصر إلاَّ بعد عصر يوسف بما لا يقلُّ عن مائتي سنة، وهكذا ففي العصر الذي عاش فيه موسى كان لقب (فرعون) يُطْلَقُ على حاكم مصر، وبذلك يتجلَّى الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم، الذي كان دقيقًا حين لم يستخدم لقب (فرعون) إلاَّ مع حاكم مصر في عهد سيدنا موسى، في حين عمَّمت التوراة استخدام لقب فرعون على حاكم مصر في

---

[1] انظر، فلايكوفسكي، **عصور في الفوضى**، 103.

[2] الخالدي، **القصص القرآني**، 262/2.

[3] التوراة، ترجمة عربية عمرها أكثر من الف عام، تحقيق: أ.د.سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق،ط 1، 1428هـ،2007م،سفر الخروج:9،218.

[4] التوراة، **سفر التكوين**،51، ص184.

عصر كلٍّ من إبراهيم ويوسف وموسى، رغم أنَّ المصريين لم يستخدموه للدلالة على حاكم مصر في الزمن الذي عاش فيه كلٌّ من إبراهيم ويوسف"[1]

المطلب الثاني :الإخبار باسم هامان في القرآن الكريم

قال تعالى :

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ) (غافر : 36)، فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (القصص : 8)، وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (غافر : 23-24)، وورد ذكر اسم هامان في القرآن الكريم في مواضع ستة .

يحدثنا القرآن الكريم عن شخصية عاشت في زمن موسى عليه السلام، واسمه هامان، وكان مقربا جدا من فرعون، وكان فرعون يستشيره ويكلفه بالمهام، والتي كان منها بناء صرح ليطلع إلى إله موسى بزعمه.

شبهة والرد عليها

أولا : شبهة المستشرقين، حاول المستشرقون منذ سنوات عديدة تكرار شبهة ضد القرآن، فذكروا أن ورود اسم "هامان" كأحد المقربين إلى فرعون في عهد موسى عليه السلام خطأ تاريخي، فالتوراة لم تورد اسم هامان عند ذكرها قصة موسى عليه السلام، كما لم يذكر هذا الاسم أي مؤرخ قديم ، ولم يرد هذا الاسم إلا في في التوراة [2]، حيث ورد فيه أن ملك بابل "أحشوبروش" كان له وزير اسمه هامان، وأن هذا الوزير كان يعادي اليهود الموجودين في بابل بعد الأسر البابلي، أي أن هامان لم يكن في عهد فرعون موسى عليه السلام في مصر، بل في بابل وبعد ألف عام تقريبا من وفاة موسى عليه السلام، أي يقع القرآن - بزعمهم- في خطأ تاريخي كبير.[3]

[1] عدنان أوكطار، هارون يحيى، **المعجزات القرآنية**، ص 74-75.

[2] التوراة، **سفر أستير**،13، ص101.

[3] انظر،، زقزوق، محمود حمدي، وآخرين، **حقائق القرآن في مواجهة شبهات المشككين** ، القاهرة، 1423هـ - 2002م، 461، وعدنان أوكطار، هارون يحيى،**المعجزات القرآنية** 71، 72.

ويبدو أن هذه الشبهة ليست وليدة هذا العصر، فقد ذكرها الإمام الرازي ورد عليها بما كان عنده من علم، فقد نقل الرازي شبهتم بقوله :" قالت اليهود أطبق الباحثون عن تواريخ بني إسرائيل وفرعون، أن هامان ما كان موجوداً ألبتة في زمان موسى وفرعون، وإنما جاء بعدهما بزمان مديد ودهر داهر، فالقول بأن هامان كان موجوداً في زمان فرعون خطأ في التاريخ" [1].

ثم رد عليهم بقوله :" والجواب أن تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بها واضطربت الأحوال والأدوار فلم يبق على كلام أهل التواريخ اعتماد في هذا الباب فكان الأخذ بقول الله تعالى أولى"[2]، ويظهر من جواب الرازي ثقته المطلقة بالنص القرآني، غير أنَّ رده جاء باهتا ولا يلام في ذلك، فمصادر العلم والتاريخ في زمنه لم تكشف ما كشفه العلم في زماننا كما سيأتي.

ويحتمل أن كلمة "هامان" ليست اسما لشخص، ولكنه لقب يطلق على "نائب فرعون" مثلما يطلق اسم فرعون لقباً على حاكم مصر أو ملكها [3].

ثانيا : الرد على هذه الشبهة:

لم يكن أحد يعلم الشيء الكثير عن تاريخ مصر القديم، لأن العلماء كانوا عاجزين عن قراءة الكتابات المصرية القديمة المكتوبة بالهيروغليفية، وقد اندثرت اللغة الهيروغليفية تدريجياً بعد انتشار المسيحية في مصر حتى اندثرت تماماً، وآخر نص مكتوب بهذه اللغة كان في عام 394م، ولم يعد أحد يتكلم بها أو يعرف قراءتها، ودام هذا الوضع حتى عام 1822م عندما استطاع العالم الفرنسي (فراجيان فرانسوا شامبليون) فك رموز هذه اللغة من على حجر رشيد [4]، الذي اكتشفه ضابط فرنسي عام 1799م أثناء الحملة الفرنسية على مصر.[5]

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 58/27.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، 58/27.

[3] زقزوق، **حقائق القرآن في مواجهة شبهات المشككين**، 461،462 .

[4] حجر الرشيد: هو حجر أثري فك رموز اللغة الهيروغليفية للمصريين القدماء، وعثر عليه الفرنسيون أثناء حملتهم العسكرية ضد مصر.انظر، الصلابي، علي محمد ، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار المعرفة، بيروت، لبنان **427\1**.

[5] انظر ، هارون يحيى،**المعجزات القرآنية**،70-71، وأروخان محمد علي، مقال بعنوان (هامان " معجزة قرآنية وليست شبهة ضده)، شبكة النور.

وبعد هذا الاكتشاف وتحليل رموز الكتابة الهيروغليفيَّة [1]، تم العثور في الكتابات على اسم لهامان، وأنه كان مقربا من فرعون يقول هارون يحيى :" قد أثبتت الاكتشافات الفرعونية صحَّة ما جاء به القرآن الكريم ، فمن خلال الكتابات والنقوش الهيروغليفيَّة تمَّ التعرُّف على معلومة مهمَّة جدًّا، وهي أنَّ اسم هامان ورد فعلاً في الكتابات المصريَّة القديمة ؛ حيث يوجد اسمه على حجر موجود حاليًا في متحف هوف بفيينا [2]، كما ورد اسمه كذلك في (معجم أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة)، الذي تمت كتابته اعتمادًا على المعلومات الواردة في جميع الألواح والأحجار المصرية، وظهرت وظيفته وأنه كان مسئولاً عن عمال مقالع الأحجار[3] "[4]..

وجه الإعجاز الغيبي في الآيات

يتحقق وجه الإعجاز الغيبي بذكر اسم هامان في قصة موسى عليه السلام، وهذا الاسم كان في عالم الغيب لمدة ليست ببعيدة، ثم ثبت عن طريق فك رموز الكتابة الهيروغليفية، أن هناك شخصا اسمه هامان كان مقربا من فرعون وفي الفترة التي تحدث عنها القرآن الكريم.

ومما يزيد في بلاغة هذا الإعجاز هو تحديد وظيفة هامان، فقد حددت هذه المخطوطات التي عثر عليها وتمت ترجمتها، أن هامان هذا كان يعمل رئيس عمال مقالع الأحجار [5]، وهي الوظيفة التي كلفه بها فرعون حين طلب منه أن يصنع له صرحا، قال تعالى **(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى**

[1] كان المصريون قد استعملوا في بادئ أمرهم الكتابة الصورية، ثم اختزلوها وأولدوا منها "الكتابة الهيروغليفية". وهي كتابة متطورة متقدمة بالمقارنة إلى الكتابة الصورية، وقد صارت هذه الكتابة أمًّا لأقدم الكتابات، إذ تعلمها أهل سيناء، وأهل بلاد الشأم، ثم اختزلوها وجزموها، حتى أوجدوا من هذا الجزم الحروف الهجائية ،وتم فك رموزها عند العثور على حجر الرشيد،انظر، جواد علي، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام،** 15\146. وانظر، العمري ، أكرم بن ضياء، **عصر الخلافة الراشدة – محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين–**، مكتبة العبيكان، 1\263.

[2] المرجع السابق، 70-71، نقلا من Walter Wreszinski)، Aegyptische Inschriften aus dem K.K. Hof Museum in Wien)، 1906، J C Hinrichs' sche Buchhandlung

[3] هارون يحيى،المعجزات القرآنية، 70-71،نقلا من Hermann Ranke)، Die Ägyptischen Personennamen، Verzeichnis der Namen، Verlag Von J J Augustin in Glückstadt، Band I، 1935، Band II، 1952)

[4] هارون يحيى،**المعجزات القرآنية،** 72.

[5] انظر، المرجع السابق.

إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)(القصص:38)، والصرح هو القصر المنيف الرفيع [1]، فتبين أن هامان كان مسؤولا عن أعمال البناء في زمن فرعون.

المطلب الثالث : الإخبار عن مساكن عاد وثمود

قال تعالى :

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) (الحاقة : 4-8).

وتكررت قصة عاد وثمود في القرآن الكريم، في أكثر من سورة وبأكثر من أسلوب.

وجه الإعجاز الغيبي في الإخبار عن مساكن عاد وثمود

ادعى بعض المستشرقين بأن عادا وثمود، ليستسوى أساطير تحدث بها القرآن وأنهما ليستا من الحقيقة في شيء، ثم أثبتت الأبحاث والقراءات التاريخية، والتنقيبات في أماكن سكنهما ما ذكره القرآن الكريم ، بأنهما قبائل سكنت تلك المناطق منذ القدم، يقول العقاد :" فمن أقطاب هؤلاء المخرفين من أنكر عاداً وثمود، وأنكر الكوارث التي أصابتهم بغير حجة، إلا أنه يحسب أن المنكر لا يطالب بحجة ولا يعاب على النفي الجزاف .

فما لبثوا طويلاً حتى تبين لهم أن عادا (Oadita) وثمود (Thamudida) مذكورتان في تاريخ بطليمسوس، وأن اسم عاد مقرون باسم إرم في كتب اليونان فهم يكتبونها (ادراميت) ، ويؤيدون تسمية القرآن لها بعاد إرم ذات العماد وعثر المنقب (موزيل التشيكي) صاحب كتاب الحجاز الشمالي على آثار هيكل عند مدين منقوش عليه كلام بالنبطية واليونانية ، وفيه إشارة إلى قبائل ثمود ."[2]

وعند مقارنة وصف القرآن الكريم لعاد وثمود بما اكتشفته البحوث والتنقيبات، يظهر الإعجاز الغيبي من وجوه :

---

[1] الرازي، **مختار الصحاح**، 151/1. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 391/3.

[2] العقاد(ت:1964م)، عباس محمود، **مطلع النور**، المكتبة العصرية، صيدا -بيروت، 61-62.

أولا : أن عادا وثمود كانوا يسكنون في مناطق خصبة ومخضرة، وفيها عيون ماء وبساتين، وكانوا في رغد من العيش، يقول تعالى على لسان نبيه هود مخاطبا قومه عاد: **(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)** (الشعراء: 128-135).

والريع هو ما ارتفع من الأرض أو الطريق [1]، والمصانع هي الحصون المشيدة [2] وقيل هي الأحواض التي يجمع فيها ماء المطر[3]، وذكر نبي الله هود عليه السلام، أنَّ الله تعالى أنعم على قومه عاد بجنات من البساتين والثمار، وعيون الماء .

ولقد كَشفَت صور الأقمار الصناعية عن نظامَ واسع مِنْ القنواتِ والسدودِ القديمةِ التي استعملت في الرَيِّ في منطقة قوم عاد ، والتي يقدر أنها كانت قادرة على توفير المياه إلى 200.000 شخص، لقد كانت المناطق التي حول مدنية مأرب خصبة جداً ويعتقد أن المناطق الممتدة بين مأرب وحضرموت كانت كلها مزروعة.[4]

ثانيا : أن عادا كانوا متميزين بالبناء، وتحديدا بالأعمدة العظيمة، قال تعالى :(**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8)**) (الفجر:6-8) ، واختلف في معنى إرم : فقال بعضهم هي اسم بلدة، وقيل هي قبيلة من عاد [5]، و ذات العماد أي :" ذات الأبنية المرفوعة على العمد وكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور"[6]

هكذا جاء وصف بنيانهم في القرآن الكريم، في الوقت الذي لم يذكر في التوراة أو الإنجيل أو أي الكتب التاريخية القديمة، وإنما عُلم شأن بنيانهم وتميزهم في الأعمدة بعد عمليات الكشف الحديثة، يقول الدكتور زغلول النجار: "في يناير سنة(1991 م) بدأت عمليات الكشف عن إرم في

---

[1] انظر، ابن منظور، **لسان العرب**، 139/8.الطبري، **تفسير الطبري**، 93/19.

[2] انظر، ابن منظور، **لسان العرب**، 211/8. الشوكاني، **فتح القدير**، 110/4.

[3] انظر،القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 123/13.

[4] انظر، فراس نور الحق، بحث بعنوان اكتشاف مساكن قوم عاد، نقلا عن توماس موجن فريق لوس انجلوس يكشف "عبار" المدينة الأسطورية المفقودة، تأليف لوس انجلوس تايمز،(5 فبراير 1992.)

[5] انظر، الطبري، **جامع البيان عن تاويل آي القرآن**، 175/30، البيضاوي، **أنوار التنزيل**، 487/5.

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 42/20.

منطقة من جنوب شرقي الربع الخالي، حددتها الصور المأخوذة بالأقمار الصناعية لوضوح آثار لأبنية قديمة وطرق مطمورة بالرمال فيها.

وأعلن عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع، سميكة الجدران، لها برج في كل زاوية من زواياها الثمانية ، وهذه الأبراج مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاع الواحد منها إلي تسعة أمتار، ويصل قطره إلي ثلاثة أمتار، وتم وصف هذا الكشف الأثري في عدد من الأفلام الوثائقية والمقالات والكتب، ثم توالت المقالات، والنشرات، والكتب، والأفلام الوثائقية والمواقع علي شبكة المعلومات الدولية بما يؤكد صدق كل ما جاء بالقرآن الكريم عن قوم عاد"[1].

ثالثا : أن قصورا بنيت من مثل هذه الأعمدة المذكور ة في الوصف السابق، لا يمكن لإنسان بمثل أحجامنا ان يبنيها في ذلك العصر، ولا بد أن أجسامهم كانت ضخمة وبهذا أشار القرآن الكريم على لسان هود عليه السلام واعظا قومه :" **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (الأعراف : 69)، ومعنى زادكم في الخلق بسطة أي في الطول وفي عظم الجسم [2].

رابعا: طريقة هلاك عاد، فقد أخبرنا الله تعالى بأنهم أهلكوا بريح قوية :(**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** (الحاقة : 4-7). ومعنى ريح صرصر، أي ريح شديدة الصوت من الصرة الصيحة، أو باردة ولا مانع من أن تكون باردة وشديدة الصوت في آن واحد ، وعاتية من العتو أي جاوزت الحد فكانت شديدة العصف، أو عتت على عاد فما قدروا على ردها والخلاص منها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء[3].

وهذا ما جاءت به الصور من وكالة ناسا التي درسها العالم الأمريكي (كلاب)، وبعد دراسة تلك الصور اتضح وجود آثار مدقات للطرق القديمة المؤدية إلى عدد من أبنية مدفونة تحت الرمال السافية التي تملأ حوض الربع الخالي، وعدد من أودية الأنهار القديمة والبحيرات الجافة التي يزيد

---

[1] النجار، د.زغلول راغب محمد، مقال بعنوان من **أسرار القرآن، (كذبت ثمود وعاد بالقارعة)**، (يونيو 2008 -جمادى الأولى 1429 هـ،العدد132)، موقع الأهرام. (بتصرف)

[2] انظر،الواحدي، **تفسير الواحدي**، 400/1، الشوكاني، **فتح القدير**، 218/2.

[3] انظر،ابن منظور، **لسان العرب**، 27\15.النسفي، **تفسير النسفي**، 274/4. الالوسي، **روح المعاني**، 40/29.

قطر بعضها عن عدة كيلو مترات، وبعد دراسة مستفيضة أجمعوا على أنها هي آثار عاصمة مملكة عاد، التي ذكر القرآن الكريم أن اسمها (إرم) كما جاء في سورة الفجر، والتي قدر عمرها بالفترة من3000 ق.م. إلى أن نزل بها عقاب ربها فطمرتها عاصفة رملية غير عادية.[1]

وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم، أنها أهلكت بعاصفة غير اعتيادية، أهلكتهم وقطعت دابرهم، لذلك وصفها الله تعالى بالريح العقيم.

رابعا : . أن قوم هود كانوا يسكنون في الأحقاف، والأحقاف جمع حقف "وهو ما استطال من الرمل ولم يبلغ أن يكون جبلاً" [2]، قال ابن كثير "هي: جبال الرمل قريبًا من بلاد حضرموت متاخمة لبلاد اليمن"[3]، وقد أكدت الاكتشافات التي تم ذكرها سابقا، أن المنطقة التي كان يسكنها قوم عاد ينطبق عليها هذا الوصف، فسبحان الله من قبل ومن بعد.

---

[1] قسطاس، إبراهيم النعيمي، بحث بعنوان **مساكن قوم عاد**، الأحد 27 يناير 2013)، موقع جامعة الإيمان.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، 52/9.

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 342/3.

خاتمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه على نبيه ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هاديا ومبشرا وسراجا منيرا، وبعد:

فقد انهيتُ هذه الرسالة ولله الحمد من قبل ومن بعد، وهذه أبرز النتائج التي خلصت بها **والتوصيات:**

نتائج الدراسة:

إن أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي :

أولا : إنَّ كلمة العجز تعود في معناها اللغوي إلى أصل واحد هو الضعف والقصور عن الشيء، وباقي المعاني تابعة لهذا الأصل.

ثانيا: إنَّ كلمة الغيب يعود معناها إلى معنى واحد أصيل وهو الاستتار، سواء أكان عن الأعين أم الحواس أو غيرهما.

ثالثا: جميع العلماء عدوا الأخبار الغيبية وجهاً صحيحاً للإعجاز.

رابعا: تبين أنَّ الأخبار الغيبية، وجه معجز من وجوه إعجاز القرآن الكريم، لكنها لم يقع بها التحدي.

خامسا:كيفية الوقوف على الإعجاز الغيبي تتم من خمسة وجوه وهي :

1 -إنَ النبي صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يطلع على كتب السابقين فكيف لأمي أن يأتي بمثل هذهالغيبيات .

2 -ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر ويشيع هذه الأخبار بحجمها وتفاصيلها الواردة من ذاته، فأعداؤه يتربصون به، وينتظرون أدنى ثغرة ليتمكنوا من دينه ودعوته.

3 -أن القرآن الكريم يتحدث عن الأخبار الماضية حديث الجازم المتأكد، ويأتي بأدق التفاصيل وكأن النبي صلى الله عليه وسلم قد شاهدها بعينه أو درسها.

4 -الآيات الكريمة التي نفت علم النبي عليه السلام بمثل هذه الأخبار.

سادسا: إنَّ العلم ما زال يكشف باستمرار عن صدق القرآن الكريم في قصصه وغيبياته .

سابعا: الإعجاز الغيبي بقسميه الماضي والمستقبلي، يعد بابا مهما لتدبر كتاب الله تعالى وفهم معانيه.

توصيات الدراسة:

أولا: هذه النماذج لكل نوع من أقسام الإعجاز الغيبي، جاءت على وجه ضرب المثال لا الحصر، وعلى العلماء وطلبة العلم استخراج باقي الأمثلة ودراستها.

ثانيا: لا بد من تصنيف كتب، متخصصة في مجال الإعجاز الغيبي.

ثالثا: يجب التحقيق في المعلومات العلمية والتاريخية، قبل إسقاطها على الآيات القرآنية.

رابعا: يفضل إنشاء مواقع الكترونية، ومنتديات متخصصة في الإعجاز الغيبي.

خامسا: ترجمة أمثلة الإعجاز الغيبي، إلى كافة اللغات.

قائمة المصادر والمراجع

1 -القرآن الكريم

2 -إبراهيم مصطفى، وآخرين، **المعجم الوسيط**، تحقيق:مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط2.

3 -ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، **الكامل في التاريخ**، تحقيق : عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت،(ط2\ 1415هـ).

4 -الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1\2001م).

5 -أروخان محمد علي، مقال بعنوان (**هامان معجزة قرآنية وليست شبهة ضده**)، شبكة النور.(5\23\2004م).

6 -الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، **ديوان الأعشى الكبير**، دار صادر، بيروت، 1966م.

7 -الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح السيرة النبوية**، المكتبة الاسلامية، عمان، ط1.

8 ------------- ، **السلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف، الرياض.

9 -الألوسي، محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

10 - الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد ، **المواقف**، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت،(ط1\ 1997م).

11 - الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، **إعجاز القرآن**، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (ط5/1997م).

12 - البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: **صحيح البخاري** ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، (بيروت ، اليمامة ، دار ابن كثير ، ط3- 1403هـ - 1987م).

13 - برستيد، جيمس هرني، **تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي**، ترجمه إلى العربية: حسن كمال، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997.

14 - البغا، مصطفى ديب، **الواضح في علوم القرآن**، دار الكلم الطيب، دمشق، (ط2، 1418هـ).

15 - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، **معالم التنزيل**، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

16 - البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية، بيروت.

17 - البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلدان**، تحقيق : رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت.

18 - البيضاوي، عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي المسمى**(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، دار الفكر، بيروت.

19 - البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين ، **دلائل النبوة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث،(1408 - 1988).

20 - -------------: **سنن البيهقي الكبرى** ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، (مكة المكرمة ، مكتبة دار الباز ، 1414هـ - 1994م).

21 - الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي** ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

22 - **التوراة**، ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق: أ.د.سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق، (ط1\1428هـ-2007م).

23 – الثعلبي، أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، **الكشف والبيان**، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (ط 1\ 1422 هـ – 2002 م).

24 – الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط1/ 1405).

25 – ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي ، لبنان ،(ط4/ 1403هـ– 1983م).

26 – ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير** ، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط3/ 1404هـ).

27 – ابن أبي حاتم، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن الرازي، **تفسير ابن أبى حاتم** ، تحقيق:أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

28 – ابن حبان(ت:354هـ)، أبو حاتم محمد بن بن أحمد التميمي البستي، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، تحقيق: سعد الفقي، دار ابن خلدون، الاسكندرية.

29 – ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** ، تحقيق : د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة، دار الغيث، السعودية،(ط1\ 1419هـ)،

30 – الحلبي، علي بن برهان الدين، **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون** ، دار المعرفة بيروت، 1400 هـ.

31 – الحمصي، نعيم، **فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية الى عصرنا الحالي** ، مؤسسة الرسالة، بيروت،(ط2/ 198).

32 - ابن حنبل ، احمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني : **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، (مصر، مؤسسة قرطبة).

33 - الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب** ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان(1419 هـ -1998 م).

34 - حوى، سعيد بن محمد ديب، **الرسول صلى الله عليه وسلم** ، دار عمار، بيروت، عمان،2002.

35 - أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، **تفسير البحر المحيط** ، تحقيق:الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت.

36 - الخالدي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، دار عمار،عمان،(ط1421/1هـ-2000م).

37 - -------------: **البيان في إعجاز القرآن**، دار عمار، عمان، (ط3/ 1413).

38 - -----------: **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل وأحداث**، دار الفكر، دمشق، 1418-1998م.

39 - الخالدي، د.محسن سميح الخالدي، بحث بعنوان(**التحدي بالقرآن العظيم**)، المؤتمر العلمي الثالث، (الإعجاز في القرآن الكريم)، جامعة الأقصى-غزة، العدد الأول، 2000م.

40 - ابن خالويه، أبي عبد الله الحسين بن أحمد، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع** ، مكتبة المتنبي، القاهرة.

41 - خبيزة، محمد يعقوب خبيزة، مقال بعنوان (**إعجاز الكريم بإخباره عن الأمور الغيبية**)، مجلة دعوة الحق، العدد 337،2 جمادى 1-1419هـ-1998 م.

42 – ابن خرداذبة، المسالك والممالك

43 – الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم، **بيان إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام، دار المعرفة، مصر،ط3.

44 – الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة .

45 – الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى البروسوي الإستانبولي الحنفي، **تفسير روح البيان**، دار النشر، دار إحياء التراث العربي .

46 – ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق :د. إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

47 – أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، **سنن أبي داود**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

48 – دراز، محمد عبد الله، **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن** ، دار الثقافة، الدوحة، (1405هـ – 1985م).

49 – ديدات، احمد، **القرآن معجزة المعجزات**، ترجمة :علي عثمان، المختار الإسلامي.

50 – الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت،(1415 – 1995).

51 – الذهبي، ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت،(ط1\ 1407هـ – 1987م).

52 - الراغب، الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

53 - الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تحقيق : عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، (ط1/ 1417 هـ - 1997م).

54 - رضا، محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1990 م).

55 - الرماني، علي بن الحسن ، **النكت في إعجاز القرآن**، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، دار المعرفة – مصر ، ط3.

56 - الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق:مجموعة من المحققين، دار الهداية.

57 - الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلى، **التفسير المنير** ، دار الفكر المعاصر، بيروت- دمشق، 1418هـ.

58 - الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (1391هـ).

59 - الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، دار الفكر، لبنان، (ط2/ 1416هـ- 1996م) .

60 - زقزوق، محمود حمدي، وآخرون، **حقائق القرآن في مواجهة شبهات المشككين** ، القاهرة، (1423هـ -2002م).

61 - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، **أساس البلاغة**، دار الفكر، (1399هـ- 1979م).

62 - -----------: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

63 - ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة، **حجة القراءات**، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط2 \1402 - 1982).

64 - السبحاني، الشيخ جعفر السبحاني، **مفاهيم القرآن**، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٧ هـ.

65 - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تفسير السعدي(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**، تحقيق : ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1421هـ- 2000م).

66 - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

67 - السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد أبي الليث، **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**، تحقيق : د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

68 - السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، **تفسير القرآن**، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض، السعودية،(ط 1/ 1418هـ- 1997م.

69 - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق : سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، (ط1\ 1416هـ- 1996م).

70 - ----------------: **الدر المنثور**، دار الفكر، بيروت، (1993 م).

71 - ----------------: **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق : عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

72 – الشريف المرتضى، **الموضح عن جهة إعجاز القرآن** ، تحقيق : محمد رضا الأنصاري، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد ، 1424 هـ/2004م.

73 – الشعراوي، محمد متولي تفسير الشعراوي، **تفسير الشعراوي الخواطر**، مطابع أخبار اليوم.

74 – الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (1415هـ – 1995م).

75 – أبو شوفة، أحمد عمر أبو شوفة، **المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار** الكتب الوطنية، ليبيا، 2003.

76 – الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، دار الفكر – بيروت.

77 – الصلابي، علي محمد ، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار المعرفة،بيروت لبنان.

78 – الصنعاني، عبد الرزاق ابن همام، **تفسير القرآن** ، تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، (ط1\ 1410هـ).

79 – الصنعاني ، محمد بن إسماعيل، **ثمرات النظر في علم الأثر** ، تحقيق : رائد بن صبري بن أبي علفة ، السعودية ، الرياض ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، (ط 1 – 1417هـ – 1996م).

80 – الضياء، أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، **الأحاديث المختارة**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ، (ط1\1410هـ).

81 – الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، **المعجم الأوسط**، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة،(1415هـ).

82 – الطبرسي ، الفضل بن الحسين الطبرسي، **تفسير مجمع البيان** ، المجمع العالمي لأهل البيت.

83 – الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، دار الفكر ، بيروت ،(1405هـ).

84 – الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، شرح مشكل الآثار، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت (1408هـ – 1987م).

85 – ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، التحرير والتنوير (الطبعة التونسية)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس،(1997 م).

86 – عباس، أ.د.فضل حسن عباس ، **إعجاز القرآن الكريم**، عمان، الأردن، (1991م).

87 – عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ.

88 – عبد الجبار القاضي، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني، **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2011.

89 – ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق : أحمد محمد شاكر، وكالة الطباعة والترجمة، (ط4/ 1391هـ).

90 – ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، (ط/1 1413هـ–1993م).

91 – العقاد، عباس محمود، مطلع النور، المكتبة العصري، صيدا، بيروت.

92 - بن عقيل، محمد بن حسن، **معترك الأقران في إعجاز القرآن(منهجه ومنزلته بين كتب الإعجاز)**، بحث لنيل درجة الدكتوراة، جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين،السعودية،1416هـ.

93 - علي، د. جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، دار الساقي، (ط 4\ 1422 -هـ 2001م).

94 - عمار، د.احمد سيد عمار، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم** ، دار الفكر،دمشق،سورية،(ط1418/1هـ-1998م).

95 - عمر، د. أحمد مختار، **أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين** ، عالم الكتب، القاهرة، (ط1992/2م).

96 - العمري ، أكرم بن ضياء، **عصر الخلافة الراشدة - محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين-**، مكتبة العبيكان.

97 - العمري، محمد بن عبد الله الخطيب، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، (ط3 \1985م).

98 - عياض القاضي، أبو الفضل عياض اليحصبي، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1409 هـ - 1988 م).

99 - ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، (ط2/ 1420هـ - 1999م).

100 -أبا الفتوح، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن بن يصل الأزدي، **تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم**، مكتبة السنة، القاهرة، مصر،(ط1/ 1415 - 1995)

101 -الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

102 -فراس نور الحق، بحث بعنوان **اكتشاف مساكن قوم عاد**، نقلا عن توماس موجن فريق لوس انجلوس يكشف "غبار" المدينة الأسطورية المفقودة، تأليف لوس انجلوس تايمز،(5 فبراير 1992.).

103 -الفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، **كتاب العين** ، تحقيق : د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

104 -فلايكوفسكي، ايمانويل، **عصور في الفوضى من الخروج الى أخناتون** ، ترجمه: رفعت السيد، سينا للنشر، القاهرة، 1995م.

105 -الفيروز أبادي، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر ، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة.

106 -القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية (1423، هـ/ 2003م).

107 -قسطاس، إبراهيم النعيمي، بحث بعنوان **مساكن قوم عاد**، الأحد 27 يناير 2013)، موقع جامعة الإيمان.

108 -القطان، مناع خليل ، **مباحث في علوم القرآن** ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (ط3 1421هـ - 2000م).

109 -قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ،(ط 17\1412 هـ).

110 -ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **متن القصيدة النونية**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ،(ط2\ 1417هـ).

111 -ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، **البداية والنهاية** ، مكتبة المعارف، بيروت.

112 ----------------: **تفسير القرآن العظيم** ، (بيروت ، دار الفكر ، 1401هـ).

113 -مؤنس، د. حسين، **أطلس تاريخ الإسلام** ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، (ط1 1407/1987).

114 -مالك بن نبي، **الظاهرة القرآنية**، دار الفكر، دمشق، 1406هـ- 1986م.

115 -الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، **النكت والعيون**، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان.

116 -مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : **صحيح مسلم** ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ، دار إحياء التراث العربي.

117 -المقريزي(ت:856هـ)، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب.

118 -ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر،بيروت، (ط1/1990م).

119 -موريس بوكاي، **القرآن الكريم والتوارة والعلم دراسة الكتب المقدس ة في ضوء المعارف الحديثة**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

120 -الميدانى، عبدالرحمن حسن حبنكة، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها** ، دار القلم، دمشق، (ط1/1416 هـ -1996).

121 -النجار، د.زغلول راغب محمد، مقال بعنوان من أسرار القرآن، (**كذبت ثمود وعاد بالقارعة)**، (يونيو 2008 -جمادى الأولى 1429 هـ، العدد132)، موقع الأهرام.

122 -النحاس، أبي جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل، **معاني القرآن الكريم** ، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (ط1\1409هـ).

123 -النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، 2005.

124 -ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، **السيرة النبوية** ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، (ط1\ 1411هـ).

125 -الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي، القاهرة ، بيروت، (1407).

126 - هارون يحيى، عدنان أوكطار، المعجزات القرآنية، دون طبعة أو سنة نشر.

127 -الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية ، **أسباب النزول**، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (ط1\ 1411 - 1991).

128 -------------------: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت ،(ط1\ 1415هـ).

129 -الواقدي، أبو عبد الله بن عمر ، فتوح الشام ، دار الجيل، بيروت.

130 -وزارة السياحة والآثار -فلسطين على موقعها ،http://tourism.ps/.

131 -ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله أبي عبد الله الحموي، **معجم البلدان** ، دار الفكر، بيروت.

132 -يوسف، الحاج أحمد، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهرة**، مكتبة دار ابن حجر، دمشق (ط2003/2).

133 -أبو يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، **كتاب الخراج**، تحقيق : محمد إبراهيم البنا، دار الإصلاح، (1398 هـ/1978م).

An - Najah National University

Faculty of Graduate Studies

(metaphysical miracle in holy quran “analytical and critical syudy”)

by

Omar Mohammed Abu Leil

Supervisor

Dr. Mohsen Samih Khalidi

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An – Najah National University, Nablus, Palestine .

2014

(metaphysical miracle in holy quran “analytical and critical syudy”)

by

Omar Mohammed Abu Leil

Supervisor

D. Mohsen Samih Khalidi

Abstract

Summary This research Miracles metaphysical in the Koran, according to which the meaning of Miracles metaphysical in the language and terminology, and then mentioned the views of the most prominent scholars of interpretation and Science Quran with said their evidence, and the shootout between the evidence, and then mentioned types of miracles metaphysical, and how to stand up to this kind of miracle. Then put examples of each section, with analysis and critique each instance, according to scientific methodology.

.